إطلالة تاريخية على التجهيز المائي بمدينة الجزائر ومرافقها المائية خلال العهد العثماني

- على ضوء مصادر غربية ووثائق محلية من الرصيد العثماني-

أة./ نادية مباركي

قسم التاريخ -جامعة الجزائر 2

الملخص :

كان الاهتمام بعنصر الماء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني اهتمام تقاسمه مجتمعها سلطة، ورعية على حد سواء، ومن هذا المنطلق تستهدف هذه الدراسة انطلاقا من مصادر أولية متمثلة أساسا في مصادر غربية (كتابات أسري، ورجال دين أوروبيين مسيحيين. . . الخ) ووثائق أرشيفية من الرصيد العثماني إبراز مدى العناية التي كان يحظى بها عنصر الماء في مدينة الجزائر من حيث الحرص على تجهيزها بتجهيز مائي محكم (قنوات، عيون آبار. . . الخ)، وكذا إيجاد جهاز خاص للإشراف على هذا العنصر الجوهري، والحيوي في الحياة اليومية لسكان المدينة وكل ما يرتبط به من أنشطة مختلفة، مع التأكيد على إبراز المساهمة الفعالة للسلطة حينها في هذا الميدان من خلال تشجيع المبادرات الهادفة لتحقيق ذلك ومن خلال المساهمة المباشرة في ذلك من حيث الإشراف على تسير المرافق المائية التي أصبحت تتوفر عليها المدينة، وفحصها وتحبيس الحبوس أو الأوقاف لصالحها بقصد تنميتها وصيانتها. وهذا في إطار العمل للصالح العام، والحرص على توفير إحدى أهم الاحتياجات الأساسية والحيوية للسكان.

RESUME :

L'intérêt porté à l'eau dans la ville d'Alger à l'époque Ottomane était un intérêt que partageait toute la société (dirigeants et sujets) ; à partir de ce point de vue, cette étude a pour but ; en se référant à des sources étrangères tels que les écrits des captifs et religieux chrétiens ainsi que des documents des archives de la période Ottomane, de démontrer toute l'importance accordée à cet élément vital dans la vie quotidienne des habitants de la ville, et à toutes les pratiques qui en découlaient ;en la dotant d'un système de distribution de l'eau très efficace : Aqueducs pour ramener l'eau de différentes sources, fontaines réparties dans la ville, et creusage de puits. Ajouter à cela la mise en place d'un dispositif administratif spécial pour veiller sur l'eau et ses différentes infrastructures. Cette étude nous porte à mettre l'accent sur le rôle positif du Pouvoir politique dans ce domaine.

مقدمة

كان عنصر الماء ولايزال وسيبقي عنصرا حيويا لا يمكن الاستغناء عنه لأن فقدانه يعني فقدان الحياة نفسها ألم يقل اللّه عز وجل "و جعلنا من الماء كل شيء حي" – صدق اللّه العظيم-[1] ومن هنا يستمد الماء أهميته كمورد لاغني عنه لاستمرارية حياة الإنسان، وكل الكائنات الحية الأخرى، وهذا ما يجعل منه سلاحا خطيرا، والتاريخ ملئ بالشواهد على ذلك منذ أقدم العصور ؛ فكم من حصار عسكري نجح لنقص الماء لدى المحاصرين، وكم من معركة في تاريخنا الإسلامي كان من بين أسباب النجاح فيها نقص الماء لدى الأعداء –مثلا في معركة بدر، وفي معركة حطين – كما أنه كان يتم تسميم مياه الآبار في بعض الحروب لضمان هلاك العدو، ولهذا عملت المجتمعات الواعية لأهمية هذا العنصر الحيوي، وخطورته في آن واحد على تأمين مصادره قدر المستطاع، والعناية به لاسيما في المدن.

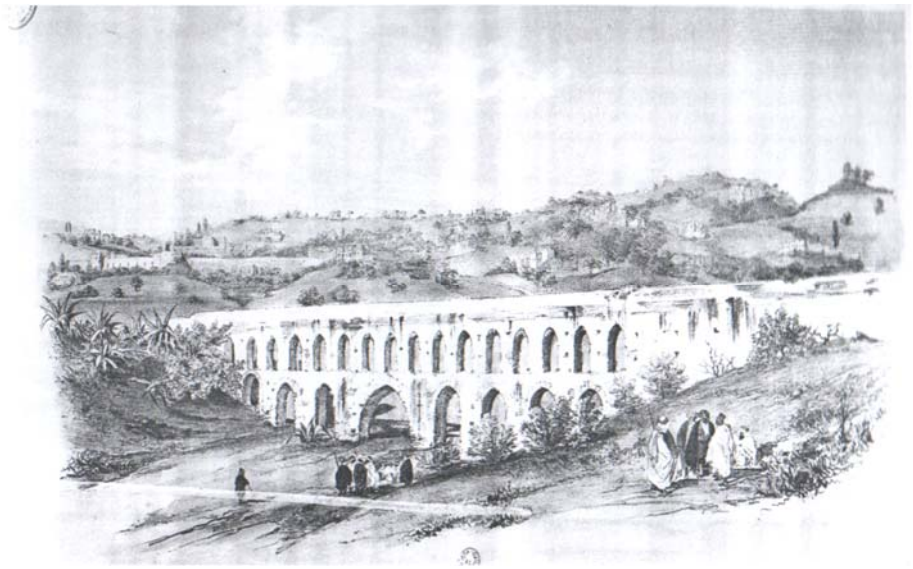

تمثل هذه اللوحة إحدى قنوات نقل الماء والتي كانت عند عبورها بالروابي والمرتفعات تمر على جسور كانت عبارة عن أقواس أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت مصنوعة من الآجر، وكان للبعض من هذه الجسور طابقين مترادفين مثلما هو الشأن بالنسبة لقناة الحامة.

1- رة الأنبياء الآية رقم 30

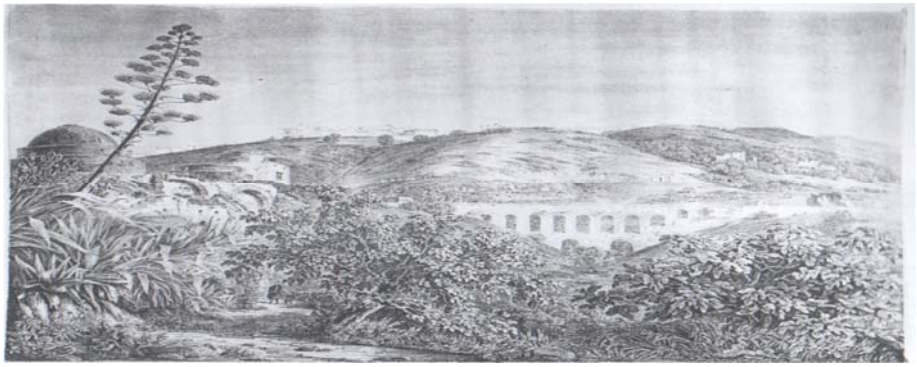

تمثل هذه اللوحة إحدى قنوات نقل الماء وبالضبط القناة التي كانت تدخل للمدينة من باب الوادي أي قناة بئر طرارية. المصدر :

Office Riad el feth, Casbah, Architecture et urbanisme, Galerie du museé national des beaux– arts D'Alger

وانطلاقا مما سبق نتساءل كيف تعامل مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني مع مسألة تزويد المدينة بمنشآت مائية، وهل وجد جهاز خاص للإشراف على هذا العنصر الحيوي، والمرافق المتصلة به، وما هو دور السلطة حينها في ذلك ؟

قبل الشروع في معالجة الإشكالية المطروحة لابد من الإشارة إلى أسباب اختيار هذا الموضوع فإلى جانب أهميته التي تحفز على البحث فيه نجد عثورنا على مجموعة من الوثائق المحلية التي تتناول مسألة الماء في مدينة الجزائر ومساهمة الحكام في العناية بهذا المورد الهام من خلال تخصيص الأوقاف لصالح المنشآت الخاصة به.

هذه الوثائق تنتمي إلى الرصيد العثماني-المتواجد بالمكتبة الوطنية بالحامة الجزائر (بقسم المخطوطات)- وبالتحديد إلى المجموعة 3205 منه التي تشتمل على 3 ملفات، ولكن ما يهمنا هو الملف الثاني منها الذي هو عبارة عن مجموعة من الوثائق القضائية التي تتضمن مواضيع مختلفة كموضوع الأوقاف، والبيع، والشراء، وتقسيم، وتصفية التركات، ودفع التعويضات، وغيرها.

ومن جملتها الوثائق الخمسة، التي دفعتنا للكتابة عن موضوع المياه في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وهي مرقمة كالأتي الوثائق رقم : 4، و37، و39، و40، و45 وانطلاقا منها تم تحديد عناصر الموضوع كما سيأتي ذكره لاحقا وهي تعود إلى القرن 11هـ (17م) والقرن 12هـ (18 م).

إذ ينبغي في البداية أن نشير إلى أنه وجدت دراسات، ومراجع اهتمت بهذه القضية وكتبت عنها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب : أندري ريموند "المدن الكبرى العربية في العهد العثماني"

Les grandes villes arabes a l'époque ottomane" ANDRE RAYMOND

هذا الكتاب الذي يتحدث بشكل عام كما يتضح لنا من عنوانه عن المدن العربية الكبرى خلال العهد العثماني كدمشق والقاهرة، وتونس، وحلب، وبيت المقدس، ومن بينها مدينة الجزائر، وهذا الكتاب هام لأنه على عكس الكتابات الغربية الأخرى التي تجعل من العهد العثماني عهد انحطاط شامل يبين أن المدن العربية عرفت صحوة وازدهارا، ونموا معتبرا خلال هذا العهد بفعل عدة عوامل أفرزها التواجد العثماني بهذه المدن، وما يهمنا هنا أنه تناول قضية الماء في مدينة الجزائر كحديثه عن مختلف القنوات التي كانت تزودها بالماء، ودور العثمانيين في تزويدها بجهاز مائي محكم.

ونجد أيضا كتاب مولاي بلحميسي" تاريخ مدينة الجزائر من خلال مياهها في القرن 16 م -18م "

MOULAY BELHAMISSI«Histoire d'Alger par ses eaux 16e - 18e siècle » ENAL, Alger, 1994

هذا المرجع يعد مرجعا هاما بالنسبة لموضوعنا ؛ فهو يتناول تاريخ مدينة الجزائر من خلال مياهها ؛ حيث يتحدث عن كل ما يتعلق بهذا المورد الهام كحديثه عن الشبكة المائية من قنوات لنقل المياه، وغيرها من ما يشكلها، وكذا الهيئة المشرفة على صيانة المنشآت الخاصة بالماء كالعيون، والآبار. . . . الخ.

كما أشار إلى اهتمام المجتمع ككل بهذا المورد، وتناول كذلك في كتابه مرافق أخرى لها علاقة بالماء كالحدائق والفحوص المحيطة بمدينة الجزائر التي كان الماء سببا جوهريا في جمالها، وتزويد أسواق مدينة الجزائر بخضر وفواكه متنوعة ؛ ففي هذا الكتاب إشارات إلى الحياة الاجتماعية، والاقتصادية لسكان مدينة الجزائر من خلال حديثه عن الأنشطة المتنوعة التي كانت بحاجة إلى الماء، ولاغني، لها عنه.

ومن الدارسات التي تتحدث أيضا عن موضوع الماء خلال العهد العثماني نجد مقال الأستاذ ناصر الدين سعيدوني بعنوان : " من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني "**في مجلة الدراسات التاريخية**، العدد التاسع، السنة 1415هـ-1995م، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، وهذا المقال يحتوى على معلومات هامة حول الشبكة المائية بمدينة الجزائر، وفحوصها خلال العهد العثماني (قنوات نقل الماء، والطرق المختلفة المستعملة لري المحاصيل تبعا لطبيعة الأرض، ومساهمة الأندلسين في هذه العملية. . . . . الخ.)

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن الجديد الذي سيأتي في هذا المقال متمثل بالدرجة الأولى في استعمال وثائق أرشيفية تتناول مسألة الماء بمدينة الجزائر، وهي عبارة عن وثائق محلية تؤكد ما جاء في العديد من المصادر الأجنبية من كتب الرحالة، والأسرى، رجال الدين الأوروبيين المسيحيين-سواء كانوا أسرى، أو أنهم كانوا يقومون بعملية الإشراف على عملية افتداء الأسرى-من معلومات حول العناية التي منحت لهذا العنصر الحيوي ؛ فالهدف كما هو معروف من أي بحث تاريخي يمكن أن يكون الكشف عن حقائق جديدة، أو العمل على تأكيد ما هو موجود منها بمزيد من الشواهد، أو أخيرا نقذ ما هو موجود منها بناء على معطيات جديدة، وكل ذلك لا يتم، أو يتحقق إلا في وجود مصادر جديدة لاسيما الوثائق الأرشيفية، وفي هذا المقام الهدف هو التأكيد على حقائق تاريخية، وإضافة مزيد من الشواهد التي تدعمها.

هذه هي العوامل، والأسباب التي كانت وراء اختياري لهذا لموضوع، والهدف المراد تحقيقه أما من حيث خطة الموضوع فهي كالآتي :

1)- مدخل هو بمثابة لمحة، ونبذة تاريخية مختصرة عن قضية الماء بمدينة الجزائر منذ بداية العهد العثماني ؛ أي من القرن 16م (10هـ)إلى أواخر القرن 18م(12هـ) من خلال بعض المصادر الغربية.

2)- تحليل وعرض الوثائق الأرشيفية وفق العناصر التالية :

1)- الجهاز المشرف على العناية بالماء، وما يتعلق به من منشآت

2)- إحدى اهتمامات ناظر العيون في مدينة الجزائر

3)- مجال من مجالات استغلال عوائد أوقاف العيون

4) - دور السلطة في مدينة الجزائر في إدارة أوقاف العيون

5) -مساهمة الحكام العثمانيين في إنشاء المرافق الخاصة بالماء، وتخصيص الأوقاف، والحبوس لها

أ- وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر

ب- وقف وتحبيس مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف عيون مدينة الجزائر

ج-تكفل مصطفي باشا بإحداث صهاريج للماء للصالح العام بمدينة الجزائر

د-رسم بدفع مبلغ من المال مقابل إدخال الماء إلى أحد البساتين

1)- لمحة ونبذة تاريخية مختصرة عن مسألة الماء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني :

لابد في البداية أن نشير إلى أن العثمانيين عندما وصلوا إلى مدينة الجزائر كمنقذين لها من خطر الغزو الإسباني وجدوا أنها تفتقر إلى تجهيز مائي، أو بمعني آخر لشبكة مائية لتزويد المدينة بمياه صالحة للشرب على عكس ما وجدوه مثلا في مدينة تونس، وحلب ؛ حيث تمكنوا من الاستفادة في هذا المجال من الأشغال، والأعمال المنجزة من طرف من سبقهم ؛ ففيما يخص مدينة حلب نجد أن المماليك قاموا بأعمال كبيرة في مجال تزويد المدينة بالماء وفي مدينة تونس وجدوا الأعمال التي قام بها الحفصيين.[1] في حين أن مدينة الجزائر في بداية القرن 10ه (16م) كانت تعتمد للحصول على الماء الصالح للشرب،و الإستعملات الأخرى حسب ما ذكره حسن الوزان –ليون الإفريقي –على النهر الذي كان يمر بالغرب منها- "وادي المغاسل "-.[2] والذي كان يوجد على بعد حوالي ألف خطوة غرب مدينة الجزائر[3]. وعلى ضفافه كانت توجد الطواحين المائية التي كان يقصدها السكان لطحن حبوبهم.[4]

كما أنه كان يعتمد على مياه الآبار الموجودة في دور مدينة الجزائر ؛ فكل دار كان لديها في العادة بئرها ولكن مياهها كانت مالحة، وهذا ما ذكره هايدو في

---

1 -Paris 1955 ANDRE Raymond,Grandes villes Arabes à l'époque Ottomane, Edition Sindbad, p. 163

2-Jean-Léon l'Africain, Description de l'Afrique, traduit de l'Italien par A. Epulard, Adrien Maisonneuve, éditeur, Paris VI, 1956, T2, p. 348

3-HAEDO (père Diégo de):Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduit de

4-MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del), L'Afrique de Marmol, Traduction de Nicolas Sieur d'Ablancourt, Paris, 1667, p. 400

القرن 10 هـ (16 م)[1]، ونفس الأمر ذكره بيار دافتي في القرن11هـ (17 م)حين سجل أنه كان في وسط ساحات دور-أي ما يعرف بوسط الدار- مدينة الجزائر بئر ولكن ذو مياه مالحة، وغير صالحة للشرب، ولم يكن يمكن استخدامها للشرب، والطبخ،ولكنها كانت تستعمل لكل أعمال الغسل، والتنظيف، وغيرها من الأعمال التي تحتاج إلى كمية كبيرة من الماء .[2]

وقد يعود افتقار مدينة الجزائر لهذا التجهيز إلى كونها قبل دخول العثمانيين إليها لم تكن إلا قرية صغيرة على عكس حلب، وتونس اللتان كانتا قبل حلول العثمانيين فيهما عاصمتان الأولى للدولة المملوكية في بلاد الشام والثانية عاصمة للدولة الحفصية في تونس.

ولهذا واجه العثمانيين مشكلة تزويد مدينة الجزائر بالماء منذ دخولهم إليها، ولكنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل شرعوا منذ بداية استقرارهم بها في العمل على إيجاد حل ناجعة لهذا المشكل بالتعاون مع سكان مدينة الجزائر لتلبية احتياجاتهم من الماء في مختلف ميادين حياتهم اليومية ؛ حيث احتلت هذه المسألة حيزا معتبرا في سلم انشغالاتهم، وهذا ما نتلمسه منذ القرن 16م (10 هـ) من خلال جملة من المصادر التي سوف نعرض معلومات البعض منها للتأكيد على ما سبق ذكره. في البداية نذكر مرمول في كتابه

MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del) : L'Afrique de Marmol

حيث ذكر أن حصن الإمبراطور [3] زود بخزان كبير للماء لم يكن في وسع السكان استخدامه إلا في حالات الحاجة القصوي إذ أنه في الحالات

1-HAEDO (père Diégo de)op. cit, in Revue Africaine, Alger, 1870 tome 14, p 432
2-vity (Pierre. D'), Description Générale De L Afrique Seconde partie Du Monde Avec tous Ses Empires, Royaumes, Etats ,Et Républiques, Chez Claude Sonnius, Paris 1637,p. 174

3 -صن الإمبراطور :يعتبر من أحد أبرز حصون الواقعة عل مشارف مدينة الجزائر ويقع إلى الجنوب الشرقي من حصن النجمة (برج النجمة في الجهات العليا من القصبة برج الثغريين 1567) وقد تم تشيده فوق كدية (ربوة) الصابون التي خيم بها شارل الخامس في حملته المشهورة على مدينة الجزائر سنة 1541 والحصن لا يبعد كثيرا على حافة الطريق الغربي بحيث يشرف على كل الداخلين من باب الجديد ويعرف أيضا بحصن بوليلة لأن شار الخامس خيم في مكانه ليلة واحدة هي ليلة الأربعاء 26 أكتوبر سنة 1541 ويعرف أيضا بحصن السلطان قالاصي. أو مولاي حسن نسبة لبانيه حسن باشا الذي شرع في بنائه عام 1554 عل بعد 1700 متر من القصبة العليا ثم زاد في تقويته، وتشديده حسن فينزيانو سنة 1580 وهو الحصن الوحيد لحماية المدينة من الجهات الجنوبية والجهات البرية بصفة عامة،=

العادية كان الناس يستخدمون ماء البئر الموجودة على 125، أو 150 خطوة من باب الحصن[1]؛ أي كان هذا الخزان بمثابة احتياطي للماء، وهذا دليل على بعد نظر السلطة واهتمامها بتوفير هذا العنصر الحيوي للسكان في كل الأوقات.

ومن بين مصادر القرن 10هـ (16م) أيضا التي تحدثت عن الماء بمدينة الجزائر نجد كتاب طبوغرافيا وتاريخ مدينة الجزائر العام لمؤلفه الأب البنديكتي هايدو.

ALGER D 'TOPOGRAPHIE ET HISTOIRE GENERALE ،HAEDO

الذي يعد مصدرا هاما عن مدينة الجزائر خلال القرن 10هـ (16م) من جميع النواحي، ولاسيما النواحي الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والعلمية وتزداد قيمته مع ندرة المصادر التي تتناول تاريخ مدينة الجزائر خلال هذه الفترة –وهذا لا يمنع من ضرورة التحلي بالروح إلنقدية عند الإطلاع عليه لكونه لا يخلو من مبالغات وتحامل على أهالي مدينة الجزائر. . . الخ -.

وما يهمنا منه في هذا المقام حديثه عن موضوع الماء ؛ حيث وضح كيف أن هذه المسألة ارتبطت في مدينة الجزائر إلى جانب تلبية احتياجات سكانها المتزايدين نتيجة الوجود العثماني وما أفرزه من ظروف مساعدة على النمو السكاني لمدينة الجزائر- كالجهاد البحري، وما جلبه للمدينة من أسرى مسيحيين، وكذلك الأعلاج الذين كانوا أسرى مسيحيين اعتنقوا الإسلام، والمهاجرين الأندلسيين، والكراغلة الذين كانوا نتاج زواج العثمانيين مع النساء المحليات الجزائريات- بمسألة تأمين مدينة الجزائر من خطر حصار يتسبب في نقص الماء ؛ فيتحدث عن جهود الحكام العثمانيين في مد قنوات لنقل الماء إلى المدينة.

فيذكر **قناة تليملي** التي أنشئت من طرف حسن باشا[2]؛ والتي يعود تاريخها إلى سنة1550، والتي كان الهدف منها هو إحضار الماء من المرتفعات المشرفة على

=وما يزال بنائه قائما إلى يومنا هذا. (أنظر حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م، ط2، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، سبتمبر1982، ص 245 وأنظر أيضا الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1415 هـ-1994 م، ص 67

1- MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del) op. cit, p. 400

2 حسن باشا : قيل أنه ابن خير الدين الحقيقي، وتولى الحكم ثلاث مرات الأولى من950هـ/1544م– 958هـ/1551م و الثانية من 964 هـ/1562 م والثالثة 969 هـ/1562 م إلى 974 هـ/ 1567 م بلقب باي لرباي، وقد قام بالعديد من الأعمال خلال ولايته حيث قام بتشييد برج حمل اسمه هو برج مولي حسن بأعالي=

خليج الجزائر، وكان طولها يبلغ حوالي 3. 800مترا[1]، وكانت تدخل لمدينة الجزائر من الباب الجديد، ومعدل مردودها كان 6 إلى 7 لترات في الثانية ؛ أي ما يعادل 561 لترا يوميا، وكانت موزعة على 29 عين في الثكنة الجديدة. [2]

كما ذكر القناة التي أنشئت حوالي 1573 من طرف عرابي، أو عراب أحمد باشا المعروفة **بقناة بئرطرارية** والتي كانت تأتي بالماء إلى مدينة الجزائر من منبع مكتشف على بعد ميل ونصف شرق باب الواد والهدف منها كان تأمين الجزء الشمالي من المدينة المهددة آنذاك من طرف الأساطيل الإسبانية. [3] وكانت تدخل إلى مدينة الجزائرعن طريق باب الواد بعد أن قطعت **1. 700 متر.** [4]

أما عن مردودها، أو سعتها ؛ فقد كانت تقدر بـ **1. 44 لتر** في الثانية أي أقل مردود من القناة الأولى ولكنه مردود معتبر بالنسبة لتلك الفترة ما يعادل **144. 126لتر** في اليوم. [5]

وأخير لابد من الحديث عن **قناة الحامة** التي كانت من أهم السواقي، والقنوات التي ينسب بنائها إلى أحد المهندسين الأندلسيين الذي كان يعرف بباسطة موسي، وقد انتهي من بنائها في عام **1611**عهد ولاية قوصة مصطفي باشا.

=مدينة الجزائر، كما شيد بلدة القليعة بقرب ساحل البحر سنة 957 هـ/1550 م غربي مدينة الجزائر، ويسجل له اعتراضه لحملة السعديين على الجزائر، واحتلالهم لتلمسان، وبسط نفوذهم على مستغانم إلى نواحي وادي شلف حيث تمكن من جعلهم يتراجعون إلى بلادهم، وتمكن من إلحاق تلمسان بإيالة الجزائر كما أن من أعماله السعي إلى رسم حدود الجزائر الغربية بين الجزائر، ومملكة مراكش سنة 961 هـ/1553 م، وكذا القضاء على الجيوش الأسبانية التي كانت قرب مستغانم، كما أنه قام بحملة تأديبية لإخضاع قلعة بني عباس، وفي الأخير تمت المصالحة بينهم، وبين السلطة العثمانية في الجزائر، كما أنه دخل في مصاهرة مع أسرة بن القاضي (إمارة كوكو) ليشد أزره بهذه المصاهرة، كما عمل على تنظيم الإدارة، وتوطيد الأمن فازدهرت مدينة الجزائر، كما ساهم في فتح جزيرة مالطة، ومن أبرز إنجازاته التقسيم الإداري الذي وضعه لإيالة الجزائر بايلك الشرق (قسنطينة قاعدته) بايلك الغرب (مركزه كان أولا مازونة وأخيرا وهران)، و بايلك التيطري (مركزه المدية) أخيرا دار السلطان العاصمة، وضواحيها وعين على كل منها مسئولا إداريا "الباي " ثم استدعاه الباب العالي ليتولى كأبيه منصب قيادة الأسطول العثماني باسطنبول فتولاه من 974 هـ/1597 م إلى أن توفي سنة 977 هـ/1570 م.

1-André Raymond, op. cit, p. 163

2-Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par ses Eaux (16e- 19e siècle), Enal Alger, 1994, p. 36

3 -اصر الدين سعيدوني، " من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني "**في مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة 1415هـ-1995م، ص 72

4 -oulay Belhamissi, op. Cit, p. 36

5-André Raymond, op. cit, p. 164

وقد أشار إليها دان في القرن 11 ه (17 م) حين قال : قام موريسكي مسمي أوسطا-المعلم -من الذين طردوا من إسبانيا 1610 -1612 بنقل الماء للمدينة عن طريق قناة كانت تأتي من على بعد ميلين خارج المدينة[1]،وقد كانت تنقل الماء من المنبع الرئيسي المتمثل في عين الحامة الطبيعية ،وكانت من أهم السواقي،وكانت تدخل إلى المدينة عن طريق باب عزون،وكان طولها يبلغ 4. 300م، وهي المسافة بين منبع هذه القناة، ومدينة الجزائر. [2] وكان مردودها ، وقدرة استيعابها تقدر بـ 9 لترات في الثانية ؛ أي ما يقدر بـ 777. 600 لتر يوميا ، وكانت تمول 29 عينا عمومية موزعة داخل مدينة الجزائر، وكذا عدة ثكنات، ومجمع قصور الجنينة. [3]

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأندلسيين أدوا دورا لا يستهان به في تزويد مدينة الجزائر بتجهيز مائي محكم ؛ فقد كان من بينهم المهندسين وأصحاب الدراية والخبرة فيما يتعلق باستغلال الموارد المائية، والذين وضعوا خبرتهم ومهارتهم في خدمة الصالح العام لمجتمع مدينة الجزائر.

كانت هذه القنوات الأكثر قدما خلال القرن 17 م (11هـ) وتوفر في مجموعها حوالي 000 1500 لتر يوميا ؛ أي أنه لـ000 30 ساكن كان متوسط حصته من الماء 50 لتر يوميا ، وقد كان متوسط أو معدل جد مرتفع بالنسبة لتلك الفترة. [4]

بالإضافة إلى هذه القنوات نجد قناة رابعة أحدث منها وهي **قناة عين الزبوجة** – بمعنى عين الزيتون المر –وقد تم تشيدها خلال القرن 12 ه (18 م)[5] وهي أطول القنوات التي كانت تزود المدينة بالماء فقد كانت تحمل إليها المياه الملتقطة من مصادر المياه المتواجدة بين عكنون ؛ أي على بعد أكثر من 10 كلم جنوب غرب مدينة الجزائر[6]،وقد تطلب تشيدها إذا إمكانيات مادية كبيرة، والكثير من المعارف، والخبرة في الميدان، وقد كانت تمر عن طريق حيدرة وصولا إلى القصبة ؛ أي داخل المدينة عن طريق حي الثغريين- الذي كان يستفيد من ماء هذه القناة عن طريق قناة فرعية - وبالتالي كانت هذه القناة تزود القسم الأعلى من المدينة بحاجته من الماء من

1-an (Père François) : Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, Pierre Ricolet imprimeur et libraire du Roy 2e édition, Paris, 1637, p. 91
2-Dan (Père François) : Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, Pierre Ricolet imprimeur et libraire du Roy 2e édition, Paris, 1637, p. 91
3- André Raymond, op. cit, p. 164
4-Ibid, p. 164
5-Ibid, p. 164
6 -bid, p. 164

خلال تمويلها بالماء 14 عينا. [1] وكان مردودها، وقدرة استيعابها تقدر بـ 8 إلى 9 لترات في الثانية ؛ أي ما يقدر بـ 734. 400 لتر يوميا، ولكن في مرحلة الجفاف كان مردودها ينخفض ليقدر بـ 86. 400 لتر يوميا. [2]

ونعود إلى هايدو وفي سياق ما ذكره عن الماء بمدينة الجزائر تحدث عن عيونها ؛ فذكر أنه كان بها ستة عيون أواخر القرن 16م (10هـ) كانت توفر كميات معتبرة من الماء إلى درجة أنها كانت تكفي لتلبية احتياجات عدد كبير من الأشخاص، وذكر أنها كانت تزود كلها عن طريق منبع غزير بالمياه، والذي كان ينبع على بعد نصف ميل جنوب مدينة الجزائر في وسط بعض الجبال، وعن طريق قنوات مغطاة حينا، وعرضة للهواء تارة أخرى، وبعد المرور أسفل الجبل الذي يرتفع فوقه برج الإمبراطور، أو حصن حسن باشا كانت هذه القناة تدخل إلى المدينة، من باب الجديد، وهناك كانت تتفرع إلى ستة فروع تمول ستة عيون. وهو بلا شك يقصد قناة تليملي السابق ذكرها. [3]

وكانت العيون الستة متمثلة في تلك العين التي كانت متواجدة في دار السلطان-قصر الجنينة -، وكان ماؤها يحتويه حوض من الرخام ليستعمل في تلبية احتياجات القصر، والمنازل المحيطة به ومن بينها يذكر العين التي كلف بتشييدها صفير-أو صفر - باشا[4] في 1560 وانتهي من بنائها في 20 أفريل من نفس السنة وأشاد بدقة صنعها حيث ذكر أن هذه العين كانت تتوفر على خزان جد جميل،و كان ماؤها يتدفق في حوض من الرخام مصنوع بدقة[5]. كما تحدث عن عين أخري خارج باب البحر التي استعملت في تموين السفن، والمسافرين بما يحتاجون إليه من ماء. وعين أخري كانت تحوى ماء جد طيب أنشئها عراب أحمد باشا [6] على بعد 100 خطوة من باب الواد[7]. ، وعين أخرى كانت تتواجد خارج باب البحرية بالقرب من البحر استعملت في تموين السفن والمسافرين بما يحتجون إليه من ماء. وأخيرا في ساحة كل من الثكنات الثلاثة المخصصة

1-Ibid, p. 164
2 -bid, p. 164
3 -AEDO (père Diégo de) op. cit, in Revue Africaine, 1870 tome 14, p. 495
4-op. cit, p 495 (père Diégo de) op. cit, in Revue Africaine, 1870 tome 14, p. 495
5-Ibid (père Diégo de) op. cit, in Revue Africaine, 1870 tome 14, p. 495
6-Id. (père Diégo de) op. cit, in Revue Africaine, 1870 tome 14, p. 495
7-HAEDO, op. cit, in-R. A, T15, p. 460

لسكن الإنكشارية كانت توجد عين تستخدم لاستعمالاتهم اليومية، واستعمال الأشخاص القادمين من خارجها. [1]

وقد أنشئت عينين من طرف **عراب أحمد** كانت تحوي مياه جد طيبة، ووفيرة، وكانت تقع على بعد 100 خطوة من باب الواد، أما الأخرى عند الخروج من هذا الباب. وقد ذكر هايدو أن هذا الأخير كان دائما حاضرا في وسط العمال، وهو يوجههم بواسطة عصى كانت بيده. [2]. وهذا دليل واضح على حرص هذا الحاكم على أن يتم العمل على أحسن وجه وربما إطلاعه على فن البناء.

كما أنه لفت نظر هايدو أيضا حول هذا الموضوع كثرة المياه في الفحوص ؛ حيث ذكر أنه إلى جانب هذه العيون المتواجدة في مدينة الجزائر ؛ فقد كان يوجد على بعد ميل، أو ثلاثة أميال منها عدد كبير من العيون،وعدد من الآبار التي كانت تعطي مياها عذبة،وصافية، ووفيرة، ولم يكن يوجد بستان،أو حديقة في فحوص المدينة لا يملك عينا، أو بئرا. [3]

وقد شهد القرن 17 م(11ه) بناء عدد كبير من العيون ؛ حيث بلغت أكثر من 100 عين في المدينة فقط –لأن فحوصها كانت غنية بالعيون، والآبار -كما سيأتي ذكره لاحقا - ؛ فقد كان يتم إنشاء العيون باستمرار لتلبية احتياجات السكان المتزايدة حتى بلغت حوالي سنة 1674 -1675 حسب بعض المصادر مئة وخمسة وعشرين عينا، وهو ما ذكره الفارس درافيو (ARVIEUX)، والذي أضاف أن قناة قديمة هي التي كانت تزودها بالماء وتأتي من على بعد ميلين من المدينة، وقد أكد على أن الماء جد طيب، وجد ضروري في بلد شديد الحرارة كهذا. [4]

ومن مصادر القرن 11ه (17م) التي تطرقت بدورها لمسألة المياه نذكر أيضا على سبيل المثال لا الحصر : Aranda'(Emmanuel d') : Relation de la captivité et liberté du Sieur d ARANDA وتحدث دراندا من خلاله عن قنوات نقل المياه التي كانت تتجمع في قناة واحدة بالقرب من باب البحرية ؛ حيث أن بقية المياه كانت تحمل إلى الميناء أين كانت السفن، كالغيلوطات تأتي لأخذ حصتها،ومؤنتها الضرورية من المياه العذبة. [5]

1-Ibid, in- R. A , T15, p. 459
2-Ibid, in-R. A, T15, p. 460
3-Ibid, in-R. A, T15, p. 947
4-Avrieux (Chevalier d') : Mémoires du chevalier d'Avrieux, J-B Delespine, Paris, 1935. p. 222
5-ARANDA (Emmanuel d') : Relation de la captivité et liberté du Sieur

وقد أشار إلى هذه القناة أيضا الأسير جواو مسكرنس في كتابه الذي يعد مصدرا للقرن 11ه (17م) :

MASCARENHAS (Joao de) : Esclave à Alger Récit de captivité de 1621à1626

حيث ذكر جواو مسكرنس أن قناة الماء في الميناء كانت تمتد إلى غاية الرصيف الحجري الذي أقيم بعد تحطيم حصن صخرة البينون ؛ حيث كانت مياه القناة تصب في خزان كبير، وكانت السفن تأخذ حصتها من الماء على الرصيف نفسه، وفي نفس مكان رسوا السفن ؛ فقد كانت تعتمد طريقة مبتكرة في مليء البراميل بالماء ؛ إذ كان يستخدم خرطوم مصنوع من الجلد كان يثبت في الصنبور المتصل بالخزان، والطرف الثاني منه يوضع في فتحة البراميل ؛ فكانت المياه تنتقل هكذا من الخزان وصولا إلى البراميل دون الحاجة إلى تقريبها من الخزان. [1]

ونلاحظ أنه من خلال القيام بهذه العملية كسب للوقت، والجهد في آن واحد ؛ حيث كانت العملية تدوم يوم واحد فقط وهذا يدل على روح الابتكار، والإبداع التي أظهرها مجتمع مدينة الجزائر في مجال تجهيز مائي لها يستفيد منه الجميع، وبأنجع الطرق.

وما سبق يجرنا إلى القول بأن الحكام خلال العهد العثماني بمدينة الجزائر أشرفوا حتى على استغلال المياه الجارية التي كانت تنزل من أعالي بوزريعة، والقصبة باتجاه البحر، وبخاصة الينابيع الموجودة داخل المدينة نفسها، وذلك لضمان تموين المدينة بالماء في حالة خضوعها للحصار.

ومن بين مصادر القرن 11ه (17م) التي تحدثت عن الماء بمدينة الجزائر إلى جانب ما سبق ذكره منها نجد كتاب روكفيل.

ROQUEVILLE (Sieur de) Relations des Mœurs et du Gouvernement des Turcs D'Alger

هذا الأخير تحدث عن العمل الذي كلف به في الأسر من طرف السيد الذي اشتراه، وهو عمل له صلة وطيدة بموضوعنا يتمثل في مهنة حمل الماء من العيون إلى

1-d'Aranda,Chez Jean Momart, imprimeur Bruxelles, 1662, p. 112
MASCARENHAS (Joao de) : Esclave à Alger Récit de captivité de 1621 à 1626, Traduit du Portugais et annoté par Paul Teyssier, Editions Chandeigne Paris 1998 , p. 81

الدور. [1] وهو نفس ما ذهب إليه أسير آخر دائما خلال القرن 11ه (17م) المدعو "دو شستال دو بويس (le sieur du Chastelet des boys) حيث ذكر أن المالك الأول له في مدينة الجزائر المدعو خوجة علي -وهو يعني الكاتب العام سكريتار الديوان- الذي اشتراه من سوق البديستان –سوق العبيد بمدينة الجزائر -أمره بحمل الماء عبر المدينة من العيون العمومية إلى عند الخواص، وبيعها بكمية تجعله يتمكن من أن يحضر له في كل ليلة 20 إسبرة –عملة نقدية- ؛ حيث قال عن أول يوم له في هذا العمل : «**. . . . في اليوم المولي لتحديد عملي لم ينسوا أن يقدموا لي جرتين كبيرتين من الفخار. . . . . صرخت إذا بصوت مرتفع كالآخرين على طول الأزقة من يريد الماء "شكون حب الماء"**. [2]

وهذا ما يجرنا للقول أن معظم العيون بمدينة الجزائر كانت عمومية ؛ ففي البيوت كانت توجد خزانات للماء ولكن ناذرة هي العائلات التي لم تكن تشتري الماء، ومن تم وجدت مهنة حمالين الماء من العيون إلى المساكن مقابل أجرة معينة، وكان من يعمل في هذه المهنة من جماعة البساكرة، وكذا بعض الأسري العبيد المسيحيين لصالح أسيادهم، وتلك كانت حالة روكفيل -المذكور أعلاه- الأسير الفرنسي الذي قضي مدة أسره التي تقدر بتسعة أشهر خلال القرن 11ه (17م) يعمل لصالح سيده حمالا للماء. [3]

ولكن كان أغلب سكان مدينة الجزائر الذين لا يملكون عبيد للقيام بهذه المهمة يعتمدون على البساكرة كما سبق الذكر، والذين كانوا يستحوذون على هذه الحرفة، ويكادون يحتكرونها، وهكذا فإن كون معظم عيون مدينة

---

1 -يث ذكر روكفيل في هذا الشأن أن سيده أرسله للعين لجلب الماء، وبيعه وتحصيل ما حدده له من مال، وعند وصوله للعين ذكر أن العبيد الآخرين سألوه عن اسمه فأخبرهم به، فأصبحوا يقولون له سيد فرنسوا. وما يهم هنا هو أنهم دلوه على الشوارع أين كان ينبغي له الذهاب لبيع الماء، والطريقة التي كان ينبغي أن يتبعها في ذلك؛ فعندما كان يصل إلى الأمكنة التي يعتقد بحاجتهم فيها إلى الماء كان يصرخ " شكون حب الماء التي تعني" من يريد الماء؟" مبينا أنه في البداية كابد كثيرا من المشقة لكونه لم يكن معتادا على المشي حافيا، بالإضافة إلى تعب حمل الماء باستمرار؛ إذ كان يجب أن يحمل في كل يوم أكثر من مئة برميل- علما أن البرميل المقصود كان يحوى حوالي 13 بانت (pinte) والبانت هو مكيال قديم للسوائل والذي يساويlitre 0, 93 لتر في مدينة باريس. - لدفع ما عليه خلال اليوم، وللعيش، و في النهاية كان راضيا لأنه أصبح لديه عددا من الزبائن الدائمين؛ فكانت له دور معينة يزودها بالماء لدفع ما عليه لسيده، ولإطعام نفسه. ، أنظر حول هذا الصفحة 9 من مؤلفه المذكور في الهامش37 من هذا المقال.

2 -sieur René du Chastelet des boys, "l'odyssée ou Diversité d'aventures rencontres et voyages en Europe Asie et Afrique", In Revue Africaine, 12 année ; Janvier,1868, T12, P. 26

3-ROQUEVILLE (Sieur de) : Relations des Mœurs et du Gouvernement des Turcs d'Alger Editions Olivier de Varennes, Paris, 1675, p. 9

الجزائر عمومية كان ضمانا لكفاية السكان منه، ومنع إسراف، وتبذير المبذرين لهذا المورد الحيوي [1] فضلا على توفيره للعمل لليد العاملة القادمة من خارج المدينة بحثا عن العمل كجماعة البساكرة. [2]

---

1 -ولابد من الإشارة إلى أن سكان مدينة الجزائر أبدعوا في إيجاد طرق تمكنهم من اقتصاد الماء الصالح للشرب، والذي كان مصدره العيون العمومية من خلال إيجاد مصادر أخري للماء للاستخدامات الأخرى لاسيما الأعمال المنزلية المختلفة كالتنظيف، غسل الملابس، الاستحمام. . . الخ، وأهم مصدر هو استغلال مياه الأمطار فقد زودت دور ومساكن المدينة بنظام بديع لتحقيق ذلك فقد كانت كل دار تقريبا من دور المدينة تحتوي على خزان ماء كان يوجد تحت أرضية وسط الدار في ما يشبه القبو وكانت هذه الخزانات تزود بمياه الأمطار التي كانت تنحدر إليها بعد أن تتجمع في السطوح.
عن طريق قنوات أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت عبارة عن أنابيب مصنوعة من الفخار، ومحتواة في سمك الجدران الداخلية للدار، ولكنها كانت مدمجة فيه بطريقة تسمح بالتدخل بسهولة في حالة حدوث أي تسرب للماء، وكان يتم تجنب إقامة هذه القنوات في الجدران المحيطة الخارجية للدار التي يمكن أن تطل على الشارع، أو أن تكون مجاورة مع دور، أو مباني أخري لصعوبة التدخل لإصلاحها، وعدم الضرر بالآخرين في حالة حدوث تسرب للماء.
وهذا النظام يدل على التحكم الكبير من طرف البناءين حينها في قواعد البناء حيث كان الاعتماد الأكبر على الذكاء، والفطنة، والخبرة، وقوة الملاحظة في حين أن هذا الأمر اليوم يتطلب حسابات، ومخططات، وغير ذلك، ولا يكون بنفس الإتقان، والفاعلية؛فقد كان هذا النظام يؤدي وظيفتين هامتين، وهما استرجاع مياه الأمطار لداخل الخزان المخصص لتجميعها، وتفادي تدفقها في الشوارع تطبيقا للأحكام التي اعتمدها الفقه المالكي في هذا الشأن من خلال عدد من النوازل التي احتواها مخطوط القضاء في المباني والدير –المشار إليه أنفا – و التي تمنع من تصريف مياه الأمطار، أو غير ذلك على الطرق، والعامة في الشوارع، وكذا على الدور المجاورة لما يسببه ذلك من ضرر وقد جاءت هذه الأحكام، والنوازل تحت عنوان **"القضاء في مهارق السقوف، ومخارج الدور"**. أنظر حول هذا الموضوع :
BREVES , «Relation des Voyages De Monsieur De Breves Tant en GRECE ,Terre Sainte Et Egypte Qu'aux Royaumes de Tunis et Alger . Ensemble, Un Traité fait en 1604 entre le roy Henry le Grand et L'Empereur des Turcs Et Trois Discours Dudit Sieur , chez Nicolas Grasse, Paris, 1604, p 58
Et Thomas SHAW : Voyage dans la Régence d'Alger , ou Description Géographique, Traduit de l'Anglais et augmenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830 , p. 97
et André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville, Editions sinbad ; Paris, 1989, p. 128
وكذلك أنظر حول الموضوع:مخطوط القضاء بالمرفق في المباني والدير ونفى الضرر" مجموعة من النوازل المالكية المتعلقة بالملكية العقارية"القسم الأول من المخطوط من الورقة 1 إلى الورقة 49، ويحمل ترقيم 1292، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر، الورقة 8
2 -حول جماعة البساكرة يمكن العودة إلى مقال : عائشة غطاس، الوافدون "البرانية " على مدينة الجزائر 1787 -1830 بين التهميش و الاندماج في **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، السلسلة الأولى : الولايات العربية أثناء العهد العثماني، رقم 26 في إطار أعمال=

بالنسبة للقرن12 هـ (18م) ؛ فإنني سأذكر المصدر المتمثل في كتاب تاريخ الدول البربرية لمؤلفه لوجي دوتا سي

LAUGIER DE TASSY" HISTOIRE DES ETATS BARBARESQUES

الذي تحدث بدوره عن الماء في مدينة الجزائر، والذي لم يكتفي بالحديث عن الفترة التي شهدها، ولكنه عاد للوراء إلي سنة 1611م ؛ حيث ذكر أن أحد الأندلسين المطرودين من إسبانيا اكتشف ينبوع ماء بالقرب من حصن الإمبراطور على بعد حوالي ثلاثة أرباع الميل من المدينة ؛ فقام بإطلاع الداي الحاكم في تلك الفترة على محاسن نقل هذه الماء إلى مدينة الجزائر، وتمت مكافأة الأندلسي على فكرته، ونفد مشروعه عن طريق إنشاء قناة رئيسية كانت توزع الماء في المدينة عن طريق قنوات فرعية كما في الفحوص. [1]

وهنا نتلمس أمران هامان وهما : أولا مساهمة الأندلسين[2] في تزويد مدينة الجزائر بالماء كما سبق وأن أشرنا إليه، ثانيا نسجل عناية السلطة خلال العهد العثماني بهذه القضية الهامة، وهذا نتلمسه من خلال تشجيع المبادرات الهادفة

=المؤتمر التاسع للدراسات العثمانية (22-25 سبتمبر /أيلول 2000 حول العائلة والمهمشون في العالم العثماني :

النساء والأطفال والفقراء، إشراف الأستاذ د. عبد الجليل التميمي، منشورات، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ط1، أوت –آب 2002، **وكذا** أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519-1830، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف أ. د عمار بن خروف نوقشت في كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006 -2007 .

1- LAUGIER DE TASSY:HISTOIRE DES ETATS BARBARESQUES, qui Exercent la Piraterie T1, Paris, 1757, p. 250

2 - كان الأندلسيين أصحاب مهارات؛ إذ كان من بينهم المهندسين، وأصحاب الدراية، والخبرة فيما يتعلق بالمياه والذين وضعوا خبرتهم، ومهارتهم في خدمة الصالح العام لمجتمع مدينة الجزائر، ونجد إشارة في احدي وثائق سلسلة بيت البايلك إلى مجموعة من الأندلسيين الذين قاموا بتأسيس شركة للبناء ؛ حيث أن الوثيقة معنونة بـ : "**شركة الاندلس**"، وهذا بتاريخ سنة **1032هـ (1622م)** وتتضمن هذه الوثيقة تقيد للمصاريف التي صرفت لإنجاز مباني، ومنشآت مختلفة من شراء المواد الأولية كالجير، والآجر، وألواح الخشب، و القفاف –السلال لتحميل مواد البناء–، والحبال، ودفع مستحقات البناءين، والنجارين، والحدادين وغيرها، وكذا الأجور المدفوعة مقابل بناء وترميم هذه المنشآت المتنوعة من دور، وسواقي –العيون –، والكوشات وغير ذلك. المصدر، السجل 262، العلبة 30، من سلسلة بيت البايلك، ورقة 1 في الأرشيف الوطني الجزائر

إلى تزويد مدينة الجزائر، وسكانها بكفايتهم من الماء، ومن تم الحرص على الصالح العام. وذكر أيضا لوجي دوتاسي أن عدد من القنوات الفرعية السابق ذكرها كانت تتجمع وتصل إلى الميناء ؛ حيث كانت تقوم بملىء خزان موجود في نهاية رصيف الميناء أين كانت السفن تتزود بالماء الذي تحتاج إليه بكل يسر في حين أن القنوات الأخرى كانت تنتهي إلى أكثر من مئة عين. [1]

وقد تحدث فونتور دو برادي خلال القرن 18م (12ه) بدوره عن الماء ؛ حيث ذكر المبدأ الذي كان سائدا بمدينة الجزائر فيما يتعلق باستهلاك الماء، والمتمثل في أنه لم يكن في وسع أحد أن يجلب الماء إلى ببيته وذكر أن رجل من الأعيان، وبمشقة كبيرة، وبدفع مبلغ جد معتبر من المال كان يستطيع الحصول على التصريح بذلك، وكان هذا استثناء ناذر الحدوث ؛ فكل العيون كانت عمومية.

وإلى جانب الدور الكبير الذي كانت تؤديه العيون العمومية[2] في تزويد سكان مدينة الجزائر بما يحتاجونه من مياه ؛ فقد كانت ملتقى لمختلف العناصر المشكلة للمجتمع، وقد كانت تشهد حركية من الصباح إلى غاية المساء ؛ فقد كانت ملتقى

1- LAUGIER DE TASSY, op. cit, t1, p250.

2 -وكانت العيون بدورها تشكل أهم مظهر من مظاهر الشبكة المائية والمعالم، والمرافق في مدينة الجزائر، والتي تجدر الإشادة بها لكونها ساهمت في إنعاش الحياة الاجتماعية، والاقتصادية في الفترة المدروسة فضلا عن دورها في تجميل المدينة، وتزينها، وتحدث هايدو في أواخر القرن 10ه (16 م) عن هذه العيون التي شدته إليها بجمالها، وبنائها المتقن؛ حيث كانت العيون تبنى بناء يسر الناظرين؛ فقد كانت محاطة بالزليج الملون الأنيق. والمرمر، وكانت هذه المواد تسمح بالحفاظ على النظافة المطلوبة، وكانت هذه العيون متواجدة عادة في إطار داخل الحائط، وكانت خلفيته مزينة بفسيفساء جد جميلة، فالقطع الصغيرة المجمعة بواسطة الإسمنت كانت تشكل أشكالا جد رائعة، وفي كثير من الأحيان كان يعلوها سقف صغير على شكل قوس من القرميد الأخضر الجميل. ومن بين عيون مدينة الجزائر نذكر على سبيل المثال لا الحصر : عين مسجد علي بتشين التي أنشئت في الربع الأول من القرن السابع عشر 1032هـ/ 1622م، وعين مسجد سيدي محمد شريف المعروفة عند العامة بعين بير الدروج التي يعود بنائها إلى أواخر القرن 11 ه (17م) حوالي **1674**، وعين الصباط، وعين الشيخ حسن، وعين السلطان، والعين المزوقة، والعين الحمراء وعين باب السوق. . . الخ.
و حول عيون مدينة الجزائر خلال هذه الفترة يمكن العودة للدراسات الآتية على سبيل المثال- التي تقدم قوائم بهذه العيون وأسماء الأحياء والأماكن التي كانت متواجدة بها مبينة المندثرة منها، وتلك التي لا تزال شاهد عيان على تلك الفترة- :
Devoulx (Albert), EL Djazair, histoire d'une cité d'Icosium à Alger,Edition critique présentée par Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG Editions Alger, 2003 et voir aussi Sakina Missoum, op. cit, et Moulay Belhamissi , op. cit

للحديث، وتبادل السلام ؛ حيث كان يقصدها الحضر، والخدم، والعبيد، والنساء المسنات لاسيما الزنجيات، والبرانية الوافدين، والأطفال. [1]

ولكن الجميع كان يحترم من قبله، وينتظر أن يحين دوره في صبر، ولم تكن هناك أفضلية لأحد على أحد ؛ فقد كان الجميع يتساوى في حق الحصول على حصته من المياه. [2] ومن ثم كان للعيون العمومية دورا هاما في تنشيط العلاقات الاجتماعية، ولابد أن نضيف بأن العناية بتوفير الماء بصفة دائمة للسكان قد بلغت درجة أن تم تثبيت جرار فخارية على جدران الأزقة كانت تملئ بصفة منتظمة لتأمن هي الأخرى للمارين الارتواء بالماء العذب. [3] وإلى جانب هؤلاء كان يوجد بائع الماء المتجول الذي كان معروفا بحامل القربة ؛ فقد كان يحمل قربة ماء، ويجوب شوارع المدينة في الساعات الأكثر حرارة، عارضا على المارة مياها منعشة، وكان يقدم الماء في كأس من النحاس، وكان يكتفي بما يقدمه له الزبون[4]، وكان الطلب عليه يزداد بازدياد الحرارة.

وتجدر الإشارة إلى أن فحص مدينة الجزائر كان يحظى بدوره بشبكة مائية فعالة ؛ فأراضي فحص مدينة الجزائر كانت فعلا خصبة، وطيبة جدا، ومحظوظة بما كانت تتمتع به من ميزات، إذ أنه وسط أكثر درجات الحرارة ارتفاعا كانت النباتات تبقي على خضرتها، ونضارتها. وكان الفضل في ذلك يرجع إلى نظام الري، والسقي الفعال الذي كان متواجدا بالفحوص ؛ فقد كانت الحدائق مروية، ومسقية بانتظام، وبغزارة بعدد غير منتهي من العيون والآبار التي كانت تحوي المياه العذبة، والصافية كالكريستال، والتي كانت تتدفق من كل جانب. [5]

فقد كانت فحوص مدينة الجزائر من بين الأجمل ؛ إذ كانت جد خصبة، وغنية بالقمح، والخضر، والفاكهة والأزهار فسهولها، وتلالها المزروعة جيدا كانت تمتع الناظر إليها، وتسليه ؛ فقد كانت تتمتع بخضرة دائمة لأن رطوبة الأرض المسقية

---

1 - Moulay Belhamissi. , op. cit, p. 77
2 -Mahfoud Kaddache, la casbah, mémoire, sans date, p. 87
3 -Aranda (Emmanuel- D), op. cit, p. 153
4 - Moulay Belhamissi , op. cit, p . 75, 76
5- Moulay Belhamissi , op. cit, p . 75, 76

جيدا ، وبشكل دائم كانت تحمي الأوراق من آثار الحرارة في حين كانت رقة الشتاء (اعتداله) تحافظ عليها على الأشجار. [1]

وهذا ما ذهب إليه بيار دافتي في القرن 11 هـ (17 م)حين ذكر أن الماء لم يكن ينقص خارج المدينة ؛ حيث كان لكل حديقة بئرها ، ولا بين السهول، والتلال، ومنحدرات الجبال ؛ حيث كانت اليانبيع. [2]

وهكذا ارتبطت زراعة الخضر، والفواكه بنظام الري، والسقي المحكم والمتطور بالمقارنة مع المعارف، والتقنيات السائدة في تلك الفترة، والذي مكن من إقامة زراعة كثيفة للأشجار المثمرة، والخضر، والحبوب، وذلك بفضل مهارة عمال الأرض، وفي مقدمتهم الأندلسيين الذين كانوا يسهرون على فعالية نظام الري المشكل من عيون، والآبار والقنوات والسواقي، والنوريات، والصهاريج.

وكانت أساليب الري، والسقي المتبعة في الفحوص تتنوع بتنوع طبيعة الأرض ؛ ففي الأماكن المنحدرة كانت العيون المصدر الأساسي لسقي الأراضي من بساتين، وحدائق أما الجهات المرتفعة ؛ فكانت تسقى بواسطة السواقي التي كانت ترفع المياه التي كانت تتوزع بعدها عن طريق الأحواض، والصهاريج، أما الجهات السهلية فكانت ترفع مياه الآبار لسقي تلك السهول. [3]

وقد كان نظام ري، وسقي بديع، وتجسيد للاستغلال الأمثل لمورد طبيعي متمثل في الماء هذا المورد الثمين في مجال الزراعة، الفلاحة، ومن ثم استغلال كل المساحات الصالحة للفلاحة، بإيجاد نظام ري يتماشى مع طبيعة التضاريس، ومصادر المياه المتوفرة، وهكذا توفر نظام ري متكامل تتجسد فيه التقنيات السائدة في تلك الفترة،والتي كانت بحق رغم بساطتها بالنسبة لنا دليل عن التكيف الأمثل مع الطبيعة باستعمال تقنيات ومعارف مناسبة لذلك تضمن تحقيق الاكتفاء الذاتي من حيث المحاصيل الزراعية- وهذا ما نفتقده اليوم- إلى جانب العيون، والسواقي، والآبار كانت توجد عدة ينابيع تنزل مياهها من أعلى الجبال، والتلال لتتجمع على شكل سيل صغير وادي، ويشير أحد عقود المحاكم الشرعية، والذي هو عبارة عن وثيقة تقسيم تركة –إلى مسألة استغلال مياه الوديان الصغيرة المتواجدة في فحوص مدينة

1- LAUGIER DE TASSY, op. cit, t1, pp. 304-305

2- Avity (Pierre. D'), op. cit,p. 172

3-ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 77

الجزائر لسقي المزروعات، والأشجار ؛ حيث جاءت فيه إشارة إلى واد خنيس الذي كان متواجدا خارج باب عزون ؛ أي شرق المدينة في الفحوص والجنائن الواقعة بالحامة :

«..... **جميع أشجار الجنة والبحيرة الكاينتين بالحامة خارج باب عزون واحد أبواب [كذا]محروسة الجزاير [كذا] امنها[كذا] الله تعلى الشهيرتين بالميور في سهم نوبة ونصف النوبة من الماء الهابط من وادي خنيس المبين ذلك في الرسوم. .....** ».[1]

وتواصلت العناية بالماء، والمنشآت المتعلقة به طيلة العهد العثماني، والدليل على ذلك أن المحتلين الفرنسيين الأوائل الذين دخلوا إلى مدينة الجزائر في سنة 1830 قد لاحظوا أن الجزائر كانت تتمتع بموارد مائية تحسد عليها، وتسير هذه الموارد كان من أكثر طرق التسيير فعالية، ولعل أدل دليل على ذلك أن مدينة الجزائر المحتلة بقيت معتمدة في التزود بالماء إلى غاية 1880 على الجهاز المائي الذي نظمته السلطة العثمانية، وهذا بالرغم من الزيادة المسجلة في السكان، واحتياجاتهم من الماء.

2)- عنصر الماء في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال الوثائق المحلية :

1 -الجهاز المشرف على العناية بمورد الماء وما يتعلق به من منشآت (إدارة أوقاف العيون) :

لقد اشتملت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني على مؤسسة خاصة تشرف على العيون، وعنصر الماء بصفة عامة كانت تعرف بإدارة أوقاف العيون، وكان يشرف عليها موظف كان يعرف بناظر العيون، أو"خوجة العيون"، أو "قايد العيون"[2] فقد كانت توجد أوقاف خاصة بالعيون[3]، و غيرها من المنشآت

---

1 -الوثيقة رقم 9 "رسم يتضمن رسم فريضة ارث وبينات أخري بإشراف ناظر المواريث المخزنية بمدينة الجزائر"في العلبة 18-1 تاريخها 1101 (1689م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

2 -Devoulx (Albert), Corporations Religieuses D'Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire –Editeur, Alger, 1912, p. p. 77 , 78

3 -فمثلا احتوى أحد عقود البيع والشراء عند تحديده موقع الدار موضوع البيع على إشارة لعقار حبس لصالح أوقاف العيون ؛ حيث جاء فيه : "**الحمد لله بعد ان {كذا} ملك المعظم الاجل {كذا} الزكي الافضل {كذا} الناسك الابر {كذا} السيد الحاج عمر بن المرحوم الحاج قاسم بن زكريا الجريبي المذكور هو مبتاعا في الرسوم الثلاثة الملحق كل منها برسم من رسوم القسمة التي يلصق باول {كذا} هذا جميع الدار الكاينة بحومة جامع المرحوم خيضر باشا بناحية باب عزون داخل محروسة الجزاير المسامة بنحراف{كذا} لباب الجامع المذكور الشهيرة بمحلها بدار جاورش المجاورة لدار كانت على ملك خليفة بن محية وهي الان {كذا} من اوقاف {كذا} الساقية** ". المصدر : الوثيقة رقم 9 "رسم يتضمن عقد =

الخاصة بالماء كالآبار، والصهاريج، وغيرها ؛ حيث كان يتولى مهمة إدارتها خوجة العيون لصالح العيون فقد تمت الإشارة في احدي الوثائق العائدة إلى القرن 12ه (18م) إلى هذا الجهاز فذكر فيها ما نصه ". . . . . للمعظم الأجل الزكي الافضل {كذا} الناسك الابر الحاج المعتمر السيد اسماعيل خوجة ابن خليل الناظر على أوقاف العيون. . . ". [1]

2- <u>إحدى اهتمامات ناظر العيون في مدينة الجزائر</u> :

لقد كان ناظر العيون، أو خوجة العيون يقوم بعدد من المهمات من بينها الإشراف، والسهر على ترميم وإصلاح المنشآت المائية، وفي مقدمتها العيون، والآبار، وقنوات نقل المياه، والمرافق الأخرى المتعلقة بها كالصهاريج التي كانت عرضة للتلف وتتطلب التدخل السريع، وكان يساعده في أداء مهامه عدد من الموظفين ؛ وكمثال على ذلك القيام بتجديد بناء خزنة عين الماء التي كانت واقعة بقاع الصور بناحية باب الوادي من جهة البحر من طرف ناظر العيون الحاج اسماعيل خوجة بن خليل في عهد أبو الحسن السيد على باشا في أواخر شعبان 1177 ه /1763 م. [2]

3 - <u>مجال من مجالات استغلال عوائد أوقاف العيون</u> :

في البداية لابد من الإشارة إلى أن الجهاز الإداري المشرف على إدارة المنشآت المائية، وصيانتها والذي كان يوجد على رأسه خوجة العيون كما أسلفنا الذكر يعتمد في تموين مختلف المشاريع، والمهمات المنيطة به إلى جانب مساهمة الحكام الذين أوقفوا العديد من الأملاك لتصرف مداخيلها على إدارة التجهيز المائي بمدينة الجزائر وفي الفحوص المحيطة بها[3]-كما سيمر بنا لاحقا- على عدد من المحسنين من الخواص، وكذا المتطوعين الذين كانوا يساهمون

=بيع وتحبيس بإشراف القاضي بالجزائر "في العلبة 10-1 تاريخها 1093 (1681م) من سلسلة المحاكم الشرعية في الأرشيف الوطني الجزائر

1 -**الوثيقة رقم 40** « رسم وقف وتحبيس لصالح عيون مدينة الجزائر"، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها** أواخر شعبان 1177 ه/ 1763 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -

2 -المصدر نفسه(الوثيقة رقم 40)

3 -ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 75

بـأموالهم، أي الهبـات والإعانـات الفرديـة، وبمعـارفهم في مجـال البنـاء، والتجهيـز المائي في السير الحسن لهذا الجهاز الحيوي. [1]

ومـن بـين المجـالات الـتي كـانـت تـستغل فيهـا عوائـد أوقـاف العيـون، والمـصادر الماليـة الأخـرى الـسابق الإشـارة إليهـا الممنوحـة للجهـاز المـشرف علـى المنـشآت المائيـة، وصيانتها في ترميم، وإصلاح، أو بناء العيون، وغيرها. وكمثال على ذلك قيام الحاج إسماعيل خوجة الناظر على أوقاف العيون بمدينة الجزائربإصلاح، وتجديد بنـاء خزنـة عين الماء الكائنة بقاع الصور بناحية باب الوادي من ناحية البحر. [2]

هذا لا يعدو إلا أن يكون نموذج لأحد مجالات استخدام عوائد أوقاف العيون، وإلى جانب ما سبق نلاحظ،ونسجل استخدامها في القيام بتشييد بعض البنيات، ويتضح لنا ذلك من خلال إحدى الوثائق التي هي عبارة عن "رسم تحبيس ووقف لصالح عيون مدينـة الجزائـر" ؛ حيـث جـاء فيهـا أن النـاظر علـى أوقـاف عيـون مدينـة الجزائـر الـسيد الحاج إسماعيل خوجة بعد تجديده لخزنة عين الماء بقاع الصور ناحية بـاب الـوادي رأى أن يحدث بناء بعضه أعلا خزنة المـاء الـتي جددها، وبعضه الآخـر أعـلا صـور حـريم المدينـة من المال المتحصل عليه من غلة أوقاف العيون الموجودة بمدينة الجزائر[3] .

ومن هنا تظهر أهمية أوقـاف العيـون أولا في صيانة المنـشآت المائيـة، وثانيـا في تعمير المدينة من خلال استغلال عوائـد العيـون في إنـشاء البنيـات، وغيرهـا مـن المنشآت التي تكون بدورها أوقاف لصالح العيون.

4- دور السلطة في إدارة أوقاف العيون بمدينة الجزائر :

لقد كانت السلطة في مدينة الجزائـر خـلال العهـد العثمـاني في مدينـة الجزائـر على صلة بالمسؤول عن أوقاف العيون ؛ أي خوجة العيون، أو الناظر على أوقـاف العيـون ؛ فهي التي كانت تقوم بتعين هذا الأخير في منصبه، وهذا مـا يفـسر استـشارة وكيـل أو ناظر أوقاف العيون للباشا عند إقدامه علـى اسـتعمال عوائـد أوقـاف العيـون، ومثـال ذلك السيد الحـاج إسماعيـل ابـن خليـل نـاظر أوقـاف العيـون عنـدما أراد اسـتعمال المـال المتحصل عليه من غلة **الأوقاف الموقوفة على عيـون المـاء المتواجـدة بمدينـة الجزائـر مـن أجل إحداث بنـاء فـوق خزنـة المـاء الـتي قـام بترميمهـا وأعـلا سـور حـريم المدينـة.** كمـا

---

1 - Moulay Belhamissi, op. Cit, P. 67

2 -مصدر سابق (الوثيقة رقم 40)

3 -مصدر سابق (الوثيقة رقم 40)

أسلفنا الذكر استشار علي باشا [1] في الأمر فوافق هذا الأخير على أن تكون البنيات المنجزة حبسا ووقفا على عيون الماء وملحقة بجملة الأوقاف الموقوفة عليها وتمثل ذلك البناء الذي أنجز بفضل المال المتحصل عليه من أوقاف العيون في بناء طابق علوي مشتمل على غرفتين اثنتين،وبيت واحد بالموضع المذكور. [2]

والمهم هنا حرص السيد على باشا على تسجيل ما تم الاتفاق عليه بينه وبين الناظر على أوقاف العيون، أي جعل ما تم بنائه حبسا ووقفا على عيون مدينة الجزائر، ويلحق بجميع الأوقاف الموقوفة عليها ؛ حيث وجه السيد الحاج إسماعيل خوجة ناظر أوقاف العيون إلى المحكمة الحنفية لتسجيل رسم التحبيس، والوقف الذي يتضمن كل ما تم الاتفاق عليه. هذا دليل على دور السلطة خلال العهد العثماني في إدارة أوقاف العيون بمدينة الجزائر، ودورهم في الحفاظ على التجهيزات المائية بها.

5- مساهمة الحكام العثمانيون في إنشاء المرافق الخاصة بالماء وتخصيص الأوقاف، والحبوس لها :

إن عملية تخصيص الأوقاف، والحبوس للصالح العام كانت ظاهرة صميمة، ومتجذرة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني إذ أنها عادة تستمد أصولها من فجر الإسلام [3] وكما هو معروف ؛ فقد ساهم في تخصيص هذه الأوقاف جميع سكان مدينة الجزائر القادرين على ذلك لأن الوقف يتطلب أن يكون صاحبه ؛ أي من حبسه مالكا له، وقد كانت هذه الممارسة تبرز صفة من الصفات الطيبة التي سادت في مجتمع مدينة الجزائر حينها وهي صفة التكافل والتضامن الاجتماعي وتعبير عن

---

1 -والمقصود به الداي بابا علي النقسيس (ويعرف أيضا بالداي بوصبع) (1754 -1766) والذي كان بالغ الاهتمام بمسألة تزويد مدينة الجزائر بحاجتها من الماء فخلال 12 سنة التي استمر خلالها حكمه أنجز حوالي ثلاثة عشرة عين في المدينة كما في فحصها، وأشهرها كانت عين البحرية الميناء (fontaine de l'Amirauté) وعين حديقة التجارب بالحامة، والعين الزرقاء وقد ساعدته الظروف على ذلك فزلزال 1755 العنيف الذي تعرضت له المدينة دمر جزء من وسط المدينة وأتلف جزء من قنوات نقل الماء والعيون مما توجب إعادة التنظيم المائي لسابق عهده من خلال ترميم ما تضرر، وإعادة بناء ما دمر بالكامل، وهذا ما قام به الداي علي بالإضافة إلى إثراءه الشبكة المائية للمدينة ببناء عدد من العيون. أنظر :

André Raymond, op. cit, p. 167 Moulay Belhamissi, op. Cit, pp. 44-45 et

2 -مصدر سابق (الوثيقة رقم 40)

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16 م-20م)، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ -1985 م، ص 223

الإرادة الخيرة في أوساطه. وتقليدا راسخا فيه بالإضافة إلى أهمية الأوقاف، وتأثيرها المباشر على مختلف أوجه الحياة في مدينة الجزائر.

وفيما يلي سيتم تناول مسألة الأوقاف المخصصة للمنشآت المائية من خلال وثائق قضائية، وهي عبارة عن رسوم أوقاف، وحبوس تبين لنا مساهمة العثمانيين ولاسيما الحكام منهم في هذه المسألة.

أ- وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر :

يثبت أحد رسوم التحبيس قيام محمد باشا[1] بتوقيف، أوتحبيس جلسة حانوت يملكها كانت تقع بسوق الخراطين، وكانت معدة لبيع الحصائر، وكانت لصيقة بحانوت المدعو السيد بوشلاغم الخراط أسفل مسجد خيضر باشا، وقد جعل من كراء جلسة الحانوت المذكور في مصاريف البئر الذي كان قد أحدثه قرب رأس تافورة بقرب من العسكر المنصور، وقد تم توزيع هذه العوائد لتغطي مختلف المصاريف المتعلقة بالبئر من دفع أجرة الساقي القائم على سقاية الناس من البئر المذكورة في حين أن المال المتبقي من عوائد الكراء يصرف على مصالح البئر الأخرى لشراء ما يحتاج إليه من تجهيزات كالدلو، والحبل.[2]. . . . . الخ.

وما يجدر الإشارة إليه هو أن محمد باشا لم يكتفي ببناء البئر بل خصص له وقفا يتمثل في العوائد التي تحققها مسألة كراء جلسة الحانوت كما

---

1 -الداي محمد عثمان باشا (1766 -1790) : من أشهر دايات الجزائر أو أشهرهم مع طول مدة حكمه حوالى ربع قرن بالنسبة إلى غيره و لاسيما أن عهد الدايات هو أطول عصور الحكم العثماني بالجزائر وتدل سيرته على أنه كان ورعا حسن السيرة محبا للجهاد في سبيل الله، ونصرة دينه كما اشتهر بالتقشف وصرف أموال خزينة الدولة بحكمة، وقد قام بالعديد من الأعمال التي كانت تستهدف تقوية البلاد عمرانيا وحربيا والحديث يطول عن ذلك وسنقتصر عل ذكر أمثلة عن أبرز إنجازاته عدد من الحصون مثل برج السردينة بمرسى الجزائر القديم برأس المول –أي الرصيف –ولم يتبقى منه حاليا إلا بعض الآثار-كما أنه قام بتجديد مسجد السيدة –الذي كان يعدمن أروع التحف المعمارية والذي هدم للأسف من طرف الاحتلال الفرنسي، وقد تم نقل منبره الرخامي إلى الجامع الجديد –ولعل ما يهمنا من هذا الداي في موضوعنا هو قيامه برفع مردود قناة الحامة من الماء بفضل ما تم إدخاله عليها من تحسينات، وكذا تطوير وتكثيف شبكة توزيع المياه المرتبطة بهذه القناة.

حول هذا الداي يمكن الرجوع إلى : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق ونشر أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، وكذلك المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 -1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، وأيضا الجيلالي عبد الرحمان، مرجع سابق، وأيضا نور الدين عبد القادر، مرجع سابق. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000

2 -الوثيقة رقم 39 «رسم وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر"، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها** أوايل شعبان1191هـ/1776م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة– الجزائر -

ذكر أنفا ، وهي ممارسة قام بها معظم من تولى حكم الجزائر خلال الفترة المعنية بالدراسة ؛ فمنهم من قام ببناء المساجد مثل مسجد حسين ميزومورط، ومسجد خيضر باشا إلى جانب شخصيات بارزة خلال العهد العثماني والمقصود هنا علي بتشين – من أبرز رياس البحر خلال القرن 17م/11هـ الذي شيد بماله مسجد عرف باسمه مسجد علي بتشين الذي كان أسبق في بنائه من المسجد الجديد[1]، وقد أوقف، وحبس عليه عدد معتبر من الأوقاف، ورافق تشيده تشيد عين عرفت بعين مسجد علي بتشين التي أنشئت مع المسجد في الأول من القرن11هـ (17م). [2]

ما سبق ذكره يكاد يكون عادة قام بها الحكام العثمانيون طيلة العهد العثماني ؛ فمنهم من كان يقوم بتشييد مرفق من المرافق العامة ثم يخصص له الأوقاف، ومنهم من قام بالإشراف على ترميم بعض المساجد ، أو العيون وغيرها من المنشآت ذات المصلحة العامة ، ويعملون على تخصيص الأوقاف لها ، ونجد أن هذه العملية تتكرر إلى درجة أنها تكاد تكون سياسة للدولة في الميدان الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي،و الديني مع أنها كانت عبارة عن مبادرات فردية ولكن تكرارها ، وكثرتها هو الذي يجعلنا نقول ذلك.

ب- وقف وتحبيس مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر :

حيث قام السيد مصطفي خوجة –والذي يبدو أنه كان من موظفي الدولة -على غرار السيد محمد باشا بتحبيس، ووقف جميع العلوي –الطابق العلوي -الكائن أعلا ضريح الشيخ البركة سيدي محمد الشريف بعد أن اشتراه، وابتاعه ابتياعا صحيحا ، وقد قام بتحبيسه على نفسه لينتفع بغلته مدة حياته –أي غلة كرائه -، وبعد وفاته يرجع وقفا وحبسا على عيون مدينة الجزائر ؛ حيث تصرف غلة ذلك على مصالحها ، وإصلاح ما تهدم منها إذ تضاف غلة الحبس المذكور إلى ساير- جميع- الأوقاف المحبسة على العيون داخل، وخارج مدينة الجزائر. [3]

---

1 -نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر 1385ه - 1965م، ص 82

2 -ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 74

3 -الوثيقة رقم 45 «رسم وقف مصطفي خوجة بن مراد لطابق علوي مرجعه أوقاف مدينة الجزائر "، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني**، تاريخها أواخر صفر1103/1691 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -

ج - تكفل مصطفي باشا بإحداث صهاريج للماء للصالح العام بمدينة الجزائر :

جاء في إحدى الوثائق أن السيد مصطفي باشا [1] التزم بأن يحدث بالرقعة –القطعة الأرضية –التي كانت واقعة قرب أحد الأبراج المعروفة ببرج قانة الفول خارج مدينة الجزائر في فحوصها صهاريج للماء ينتفع بها عامة المسلمين في سقي دوابهم، وغير ذلك مما يحتاجون فيه للماء. [2]

وهنا نشير إلى مسألة هامة ألا هي اهتمام الحكام العثمانيين أيضا بتزويد فحوص مدينة الجزائر بالمنشآت المائية كالعيون والآبار كما سبق الإشارة إليه وقد كانت الآبار مثل العيون تبني، وتحفر لاسيما في الفحوص ليستقي منها سكان مدينة الجزائر وليستعملوها في سقي مزروعاتهم، وكذا عابرو السبيل، والقوافل التجارية مثل بئر مراد رايس في ضواحي مدينة الجزائر. [3]

د- رسم بدفع مبلغ من المال مقابل إدخال الماء إلى أحد البساتين :

يطلعنا هذا الرسم بقيام مصطفي باشا بإشهاد شاهدين على نفسه في مسألة دفعه لمبلغ مالي لدار الإمارة (ألف دينار اثنان وتسعمائة دينار وثلاثة وثلاثون دينار

---

1 -الداي مصطفي باشا الخزناجي (1798 -1805) : يعتبر من بين أشهر الدايات، وكان هذا الداي مغرما بالبناء فشيد عدة قصور ودور في أنحاء مدينة الجزائر ويوجد حيان باسمه في العاصمة؛ وهما مصطفي الأعلى ومصطفي الأسفل، و منهما الحي الذي تقوم فيه بناية المستشفي الجامعي الآن. ، ومن أثاره العمرانية قصره القائم بجوار قصر الشعب، و ذلك القصر القائم بجوار قصر حسن باشا وجامع كتشاوة ولا يزال ذكر اسم الباشا منقوشا فوق القصر، كما أنه انشأ برج رأس تافورة خارج باب عزون وكذلك برج باب الواد ، وكذا البناية المتصلة بقصر الباردو كما تميز عهده بالعديد من الأحداث الهامة فقد عرف عهده تزايد نفوذ اليهود لاسيما عائلة بكري وبوشناق اليهوديتان واحتكارها للمواد الأولية ولاسيما القمح والحبوب الأخرى مما أدى للارتفاع الأسعار وقيام الفتنة ،و الاضطراب ولاسيما سنة 1805 حيث تم خلاله اغتيال اليهودي بوشناق من طرف أحد الجنود الإنكشارية ، وعرف عهده أيضا ثورة محمد ابن الأحرش الدرقاوي سنة 1800وخلال عهده أيضا أعلنت الجزائر الحرب سنة 1800على فرنسا بعد حملة نابليون بونابرت على مصر 1798، وتجددت الحرب بين الجزائر وتونس . وتعرض الداي مصطفي باشا لمحاولة الاغتيال أربع مرات (1799، وفي 1800، وفي 1804 وكانت المحاولة الأخيرة ناجحة سنة 1805.)
حول هذا الداي أنظر : حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تحقيق محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، و أنظر أيضا- الزهار (الحاج أحمد الشريف)، مرجع سابق، وكذلك الجيلالي عبد الرحمان، مرجع سابق، وأيضا نور الدين عبد القادر، مرجع سابق.
2 -الوثيقة رقم 37 "تكفل مصطفي باشا بإحداث صهاريج للماء للصالح العام بمدينة الجزائر"، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها** أواخر صفر1219هـ/ 1804 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر-
3 -نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص. 132

كلها ذهبا)، وذلك مقابل كمية الماء التي أخذها من فحص حيدرة ليدخلها إلى جنانه الواقع بفحص تلاوملي-تليملي حاليا-خارج باب عازون. [1]

ما يهمنا من الرسم السابق أنه كانت تتم عملية شراء الماء، وهذا ما يدفعنا للقول أنه خلال العهد العثماني بمدينة الجزائر لم يكن لأحد أن يدخل الماء في داره إلا نادرا ؛ فيدفع لذلك أجرة مرتفعة، والسبب في ذلك منطقي فقد كان بمثابة احتياط لضمان كفاية السكان، ومنع إسراف المستهلكين له، وحرص عليه من اللامبالاة، وعدم المحافظة عليه والدليل على ذلك الرسم السابق ؛ حيث أضطر السيد مصطفي باشا رغم كونه حينها الداي- أي حاكم الجزائر -لإدخال الماء إلى حديقته إلى دفع مبلغ معتبر من المال حينها عملة ذهبية، وهذا دليل على الأهمية التي كانت ممنوحة للماء، وهو أيضا دليل قاطع على وعي السلطة حينها بأهميته وخطورته في آن واحد.

كما أن الرسم السابق من خلال إشارته إلى نقل الماء فحص حيدرة إلى فحص تلاوملي- تليملي- يكشف لنا عن وجود شبكة مائية في الفحوص المحيطة بمدينة الجزائر -كما سبق الإشارة إليه -وهذه الشبكة كما يبدو لم تكن تقتصر على تموين الفحوص بالماء، بل كانت تزود المدينة نفسها به، وهذا دليل على البراعة، وروح الابتكار التي رافقت عملية تزويد مدينة الجزائر، وفحوصها بجهاز مائي.

وكانت قنوات نقل المياه تبنى وفق دراسات مسبقة، وتتم وفق أعمال هندسية إبتكارية، ومنتشرة في جميع أنحاء الفحص لتزويد مدينة الجزائر بالمياه، وكانت هذه القنوات في معظم الأحيان تمر عبر أنفاق أرضية، أو محتواة في الاسمنت لمنع تحطيمها، أو كسرها بسهولة، وقد كانت أحيانا أخرى مكشوفة على سطح الأرض، وكانت مصنوعة من الفخار، وذات شكل أسطواني شبيه إلى حد كبير بقرميد السقف، وكانت تجمع الواحدة في الأخرى وفي مكان التقائها كانت تثبت، وتربط ببعضها بواسطة ملاط مكون من خليط من مشاقة القنب (étoupe battu) والجير، والزيت دون إضافة الماء، وكان هذا الملاط يكتسب في وقت قصير بعد استعماله صلابة الحجارة، وكان بالإضافة لذلك مقاوما لتسرب الماء. [2]

---

1 -الوثيقة رقم 4 «رسم بدفع مبلغ من المال مقابل إدخال الماء إلى أحد البساتين "، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها أواخر صفر1216 هـ / 1801 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -**

2- Shaw(Thomas) : Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description Géographique, Traduit de l'Anglais et argumenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830, p. 105

وفي الروابي المرتفعات، حيث كانت تمر هذه القنوات كانت هناك جسور مشكلة من أقواس أعدت خصيصا لمرور القنوات من فوقها، وكانت مصنوعة من الآجر، وكان للبعض من هذه الجسور طابقين مترادفين مثلما هو الشأن بالنسبة لقناة الحامة.

نسجل أيضا من خلال الحديث عن المنشآت، والمرافق المائية، ولاسيما قنوات نقل الماء أنه كان يعتمد في صنعها على مواد أولية طبيعية مصدرها الطبيعة، ومن ثم تصنيعها محليا ؛ أي توفير نشاطات حرفية، ومهنية، لخدمة مجالات هامة في حياة المجتمع كمجال توفير المياه الماء.

ولابد من الإشارة إلى قنوات صرف المياه التي كانت تشكل بدورها جزء هام من الشبكة المائية التي زودت بها مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، ولقد أنشاء أحمد عراب باشا في مدينة الجزائر **980هـ (1572م -1573م)** قناة لتصريف المياه الوسخة تنتهي إلى البحر، وقد أشار دراندا في القرن 11 ه (17 م) إلى ذلك حين ذكر أن الماء الذي كان يتدفق على الأرض كان يدخل في الحفر-على شكل بالوعات - الموجودة بالقرب من العيون، ويذهب بعدها في بعض القنوات، والمجاري تحت الأرض التي كانت تحمل وتجرف معها كل أوساخ، وفضلات سكان المدينة الذين كانوا يصبون كل شيء في هذه القنوات المنتشرة عبر المدينة، والتي كانت تتجمع في واحدة بالقرب من أبواب ثلاث حوانيت، ومن هناك كانت كل الأوساخ تتدحرج إلى البحر باستمرار.[1] وابتداء من سنة 1634م وضع نظام مهم لتصريف المياه القذرة ؛ حيث تم تجهيز قنوات لتصريف المياه القذرة التي كانت إما قنوات قديمة مغطاة بالآجر، أوقنوات تم إنشاؤها من فوق قنوات نقل المياه الصالحة للشرب، وكانت المياه القذرة تنقل بفضل قوة الدفع، والجاذبية باتجاه البحر.[2]

علما أنه تم مراعاة عدم التقاء التجهيزان المائيين التجهيز الخاص بنقل المياه الصالحة للشرب، والتجهيز المتعلق بنقل المياه القذرة فقد كانت الأولى متواجدة على ارتفاع حوالي متر على الأقل من الثانية، وهذا دليل آخر على حسن الإدراك، والتقنية التي كانت سائدة حينها، والسهر على الحفاظ على صحة السكان من خلال الحرص على عدم اختلاط المياه الصالحة للشرب، مع المياه القذرة.

1- Aranda (Emmanuel- D), op. cit , p. 153

2- Moulay Belhamissi , op. cit, p. 77

ولابد من الإشارة إلى أنه كما وجد موظف قائم على شؤون الماء الصالح للشرب قايد العيون المذكور أنفا كان يوجد موظف آخر مكلف بالعناية، والمحافظة، والاهتمام بقنوات تصريف المياه القذرة، وهو قايد الشوارع، وإلى جانب اهتمامه بذلك كان يهتم بتجديد تبليط، وتعبيد أزقة، وطرقات المدينة. [1]

ولابد أن نذكر أن الاستغلال الأمثل لمصادر المياه في هذه الفترة في مدينة الجزائر ساعد على توفر شبكة مائية نشطة، وهامة -سبق الإشارة إليها - كانت قادرة على توفير، وتزويد الحمامات بالمياه المستمرة الجريان التي كانت محركها الأساسي، والسبب في وجودها، وقد كانت الحمامات إذا من المرافق المائية الهامة التي تنطوي عليها المدينة والتي كانت تؤدي دورا صحيا هام لاسيما ظل افتقار المدينة لمنشآت صحية -مستشفيات -فقد كانت شديدة النظافة، وجد صحية للجسم ؛ حيث ذكر الأسير جواؤ مسكفناس (Mascarenhas) في القرن11ه (17م) أنه لم يكن يوجد بها أي رجل، أو امرأة مصابين بأمراض جلدية، أو أي أمراض، أو أوجاع من هذا الصنف. [2] كما أن الحمام كان ينشط الدورة الدموية ؛ حيث كان المستحم يشعر بالحيوية، وبشعور عام من النشاط يسري في كل جسمه.

كما كانت الحمامات مركزا للراحة، وتجديد النشاط، وقضاء أوقات ممتعة في جو بهيج بالنسبة للنساء ؛ فقد كانت بالنسبة لهن بمثابة نوادي اجتماعية ؛ أي كانت الحمامات تؤدي دور اجتماعي متميز من خلال كونها كانت ملتقى للتحدث، والتناقش، وتبادل الآراء حول مواضيع شتى كانت تصب أغلبها في إطار الحياة الاجتماعية واهتمامات الحياة اليومية لسكان مدينة الجزائر. إلى جانب كونها منشآت،ومرافق للحفاظ على النظافة الصحية والدينية. وهكذا كانت الحمامات بصدق الأماكن الضرورية، والممتعة في آن واحد كما ذكر ذلك دو شستال دو بويس le (sieur du Chastelet des boys) خلال القرن 11ه (17 م). ولم يكن ذلك ممكنا إلا بفضل ما تم بدله من جهد لتزويد المدينة بكفايتها من الماء. [3]

وقد قدر هايدو هذه الحمامات في أواخر القرن 10 ه (16م) بحوالي الخمسين،أو الستين حماما، وأحسنها تنظيما، وتجهيزا كان حمامان أحدهما

1- Devoulx (Albert), Tachrifate Recueil de notes Historiques sur l'administration de l'anciennerégence d'Alger imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852, p. 22

2- MASCARENHAS (Joao de), op. cit, p. 77

3- Sieur René du Chastelet des boys, op. cit, p. 149

هو **حمام حسن باشا**[1]، والمعروف بحمام سيدنا، وهو أقدم حمام بمدينة الجزائر، وقد احتفظت زخارفه بطابعها القديم، وهو يذكر بأهمية ودور الحمامات في حياة المجتمعات المغربية. [2]

وذكر هايدو أن هذا المعلم كان ذا جمال كبير، وأنه تم الانتهاء من بنائه سنة 1550م، وأنه كان مزخرفا بالرخام، وكان لايزال إلى وقته يسمي بحمام حسن باشا الذي قلد في تشيده لهذا الحمام، والده خير الدين الذي بني حماما مشابها له في القسطنطينية –اسطنبول -. [3] وتجدر الإشارة إلى أنه عندما غادر حسن بن خير الدين حكومة مدينة الجزائر ترك هذا الحمام لخلفائه الذين كانوا يستفيدون من المداخيل التي كان يحققها. [4]

وقد كان يتشكل من أقواس، أو قبب شديدة الصلابة، بالرخام ومغطاة كلها المصقول، وكان ينقسم إلى قاعتين مربعتين طويلتين، وعريضتين، وواسعتين في الأولى كان ينزع المرء، أو المستحم ملابسه– إذ كانت بمثابة غرفة معزولة لتبديل الملابس–و يعطى له ثوب من أجل أن يغطي نفسه. [5] أي ستر عورته، والمقصود بالثوب الفوطة، و تحفظ ملابسه بهذه الغرفة بكل أمانة. وبعد تجهزه للاستحمام كان المستحم يمر مباشرة إلى قاعة ثانية توجد حولها عدة غرف صغيرة قادرة أن تحوي من 10 إلى 12 شخص، وهكذا كان المستحم يمر مباشرة إلى غرفة من هذه الغرف الساخنة أين يبدأ بالتعرق بشدة علما أنه لكل غرفة من الغرف عينها المنبثقة من جدران الحمام ؛ حيث كان الماء الساخن يصل إليها عن طريق شبكة من أنابيب برونزية كانت مثبتة في الحيطان المشكلة للغرفة، والتي كانت إلى جانب توفيرها للماء الساخن معممة لسحابات البخار. [6]

وكانت تصل عبر تلك الأنابيب كمية كبيرة من المياه الساخنة القادمة من قاعة ثانية موجودة في مؤخرة الحمام-تعرف باليبوكست (L'hypocauste) -أين يتم تسخينها باستمرار، وهو نظام بديع يستحق الإشادة به، فهو تعبير حي عن روح الابتكار، وتسخير المعارف، والتقنيات،والخبرات البشرية لخدمة الصالح العام للمجتمع.

1- HAEDO, op. cit, in-R. A, T15, p. 385

2 -وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ص 91

3- Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois d'Alger, Par H. D de Grammont, éditeur A. Jourdan Alger, 1881,p. 80

4- ibid,p81.

5- Joao Mascarenhas, op. cit, p. 77

6- HAEDO, op. cit, in-R. A, T15, p . 5, p. 385

وكانت المياه الساخنة تصب في حوض معد لاستقبالها مصنوع من الرخام وموجود تحت العين الموجودة في كل غرفة [1]، فكان المستحم يأتي ليأخذ منه ما يحتاجه للاستحمام بواسطة إناء – طاس- من النحاس[2]، وبالقرب منه يوجد حوض آخر يستقبل المياه الفاترة المستقدمة بنفس الطريقة ؛ أي بواسطة الأنابيب، وكان يخيم على غرفة الاستحمام درجة حرارة مرتفعة إلى درجة التعرق بصورة كبيرة إضافة إلى البخار الساخن المعبأ بالرائحة الزكية التي تجعل المرء يتدبر في عجائب الحياة الدنيا. [3]

وما سبق ذكره وصف لتجهيز حمام حسن باشا الذي كان يقع تقريبا في وسط المدينة، والذي كان يتردد عليه الناس بكثرة ليلا، ونهارا، وهو ما ذهب إليه هايدو في أواخر القرن 10هـ (16 م) حين قال أنه كان مقصدا للمور (المسلمون العرب، والبربر)، والأتراك في كل الأوقات، والساعات لأخذ حمامات ساخنة حسبما جرت العادة لديهم. [4]

أما أهم حمام بعد حمام سيدنا ؛ فإنه كان يحمل اسم محمد باشا الذي أمر ببنائه، وكان يقع قليلا إلى الوراء من الأول، وكان مبنيا على نفس طرازه، وهو طراز حمامات تلك الفترة، ولكنه كان أصغر منه، وأقل مستحمين. [5]

كما وصف بيار دافتي في القرن 11هـ (17 م) هذه الحمامات ؛ حيث ذكر الحمامين السابق ذكرهما كالأهم من بين 62 حمام مع غرفهم المبلطة جدرانها وأرضيتها بالرخام، وقنواتها التي تنقل الماء البارد، والحار بطريقة اصطناعية ليغتسل المور، والأتراك الذين كانوا يستحمون تقريبا كل يوم[6] ؛ فقد كانت هذه الحمامات مبنية تبعا لنفس المخطط غرفة أولى لإبدال الملابس، ثم قاعات صغيرة بأحواض مياه معتدلة، وماء بارد، وماء ساخن.

وفي الأخير لابأس من الإشارة إلى أنه كان يندرج في إطار الأعمال الخيرية لسكان مدينة الجزائر توفير ماء الشرب حتى للحيوانات كالقطط، والكلاب ... ؛

1- Ibid , in-R. A, T15,p. 385

2- 77Joao Mascarenhas, op. cit, p.

3- وليام سبنسر، "الجزائر في عهد رياس البحر"، ترجمة زيادية عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980ص96

4- Haedo (F. D), Histoire des rois…, p, 80

5- Haëdo, (F. D), op. cit, in-R. A, 1871, T15, p. 386

6- Avity (Pierre. D'), op. cit, P171.

حيث كان سكان الأحياء يتفقون على حمل الماء في مزود إلى زوايا الشوارع لتشرب هذه الأخيرة منه عندما كانت تعجز عن إيجاده بسهولة.[1] لاسيما في فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة.

1- Dan (Père François) : op. cit, p. 288

الخاتمة:

يمكن أن نلخص النتائج المتوصل إليها بعد ما سبق عرضه في فكرة واحدة هامة ألا وهي أن الاهتمام بالمنشآت الخاصة بالماء بمدينة الجزائر، وفحوصها قد كان نتيجة تظفر جهود العديد من الجهات، وفي مقدمتها حكام مدينة الجزائر العثمانيين الذين شعروا بضرورة تزويد سكانها بما يحتاجون إليه من ماء ليس بالإشراف فحسب على عملية إمداد المدينة، وفحوصها بقنوات لنقل الماء، ولكن من خلال المبادرة بإنشاء العيون، وتخصيص الأوقاف لها، والإشراف على القائم بأوقاف العيون ؛ أي ناظر العيون أو خوجة العيون لأهمية هذا العنصر الحيوي في الحياة اليومية. وما سبق يجرنا للقول أن الأهمية التي كان يوليها العثمانيون لعنصر الماء جعلتهم يحدثون جهاز خاص بالمنشآت المتعلقة به ؛ حيث كان يتولى الإشراف عليه كما سبق الإشارة إليه خوجة العيون، أو قائد العيون، والذي كانت لديه مهمات عديدة إلى جانب سهره على الأوقاف المخصصة للعيون وغيرها من المرافق المائية كالآبار.

إذا يمكن القول أن اهتمام الحكام العثمانيين بهذه المسألة، وحرصهم الشديد عليها كان له انعكاساته الإيجابية على سكان مدينة الجزائر الذين سارعوا إلى المساهمة الفعالة في تزويد مدينة الجزائر بتجهيز مائي محكم وفعال كل حسب إمكانياته وخبراته كالأندلسين الذين ساهموا بخبرتهم في هذا الميدان.

كما شارك عدد من الأسرى، والعبيد الأوروبيين الذين كان من بينهم الحدادين، والعمال البسطاء، وأصحاب المعارف في هذا المجال دون أن نستثني بطبيعة الحال مجهودات سكان مدينة الجزائر الآخرين سواء كانوا من الأغنياء الذين ساهموا بأموالهم لاسيما على شكل، أوقاف وحبوس لصالح العيون، وغيرها من المرافق العمومية الخاصة بالماء، أو كانوا حرفين بسطاء كالبناءين، وغيرهم ممن ساهموا بدوهم في هذه العملية[1]

---

1 -وهو ما أشار إليه دان في القرن 11 ه (17م) حين تحدث عن مختلف الأعمال الخيرية، والصدقات الطوعية التي كان يقوم بها سكان مدينة الجزائر، فمن جملة ما ذكر أنهم كانوا يحفرون الآبار، ويبنون العيون في الأماكن التي تحتاج للماء بما في ذلك الفحوص لنجدة المسافرين، مبينا أن هذا العمل لم يكن يمارس من طرف الأغنياء فحسب، فحتى الفقراء على رغم من حاجتهم كانوا يساهمون فيه بكل طواعية إلى حد أنهم كانوا في بعض الأحيان يعملون في حفر الآبار، وبناء العيون وذلك مجانا ؛ دون أن يطمحوا في تحصيل ؛ أي أجرة من جراء هذا العمل الخيري سوي التقدير. المصدر : DAN (Père François), OP. cit, p. p. 287,288

ومن تم فإن قضية تزويد مدينة الجزائر بالماء تطبيق واضح للقول المأثور الناس على ملة ملوكهم فهي برهان قاطع على أنه عندما تكون نية السلطة الحاكمة العمل بحزم للصالح العام فإن المجتمع بالضرورة يحذو حذوها ويلتف حول القيادة لتحقيق الهدف المنشود – وهذا هو الوضع الطبيعي والمنطقي إلا في حالات شاذة-.

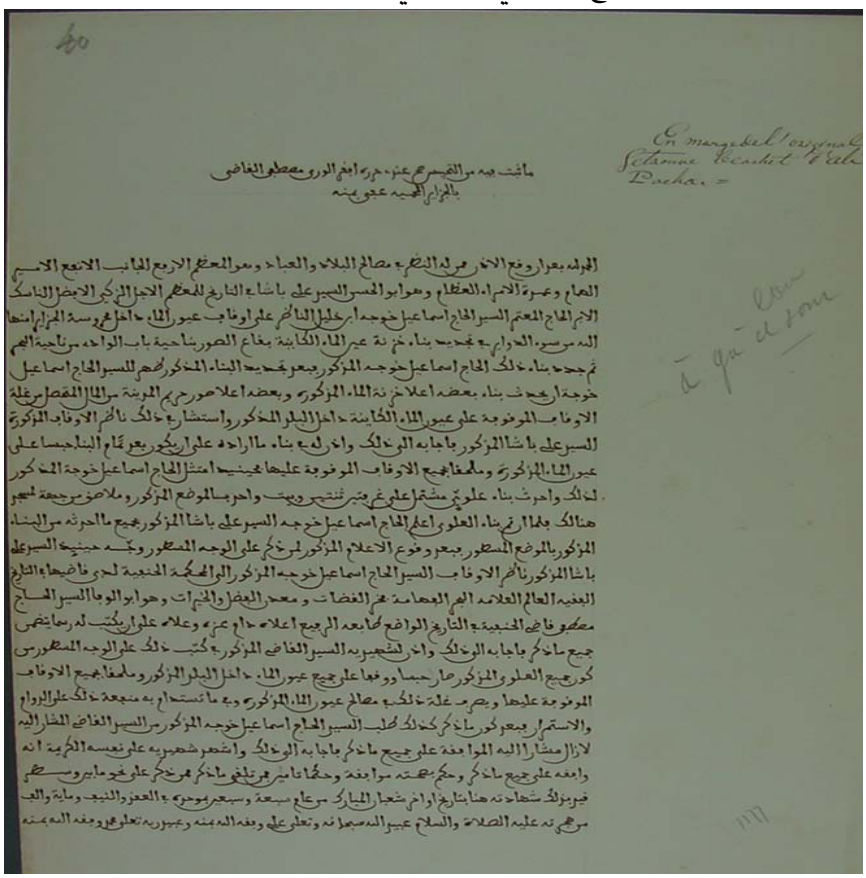

الوثيقة رقم 40 " رسم وقف وتحبيس لصالح عيون مدينة الجزائر"، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها** أواخر شعبان 1177 هـ/ 1763 م، بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر –

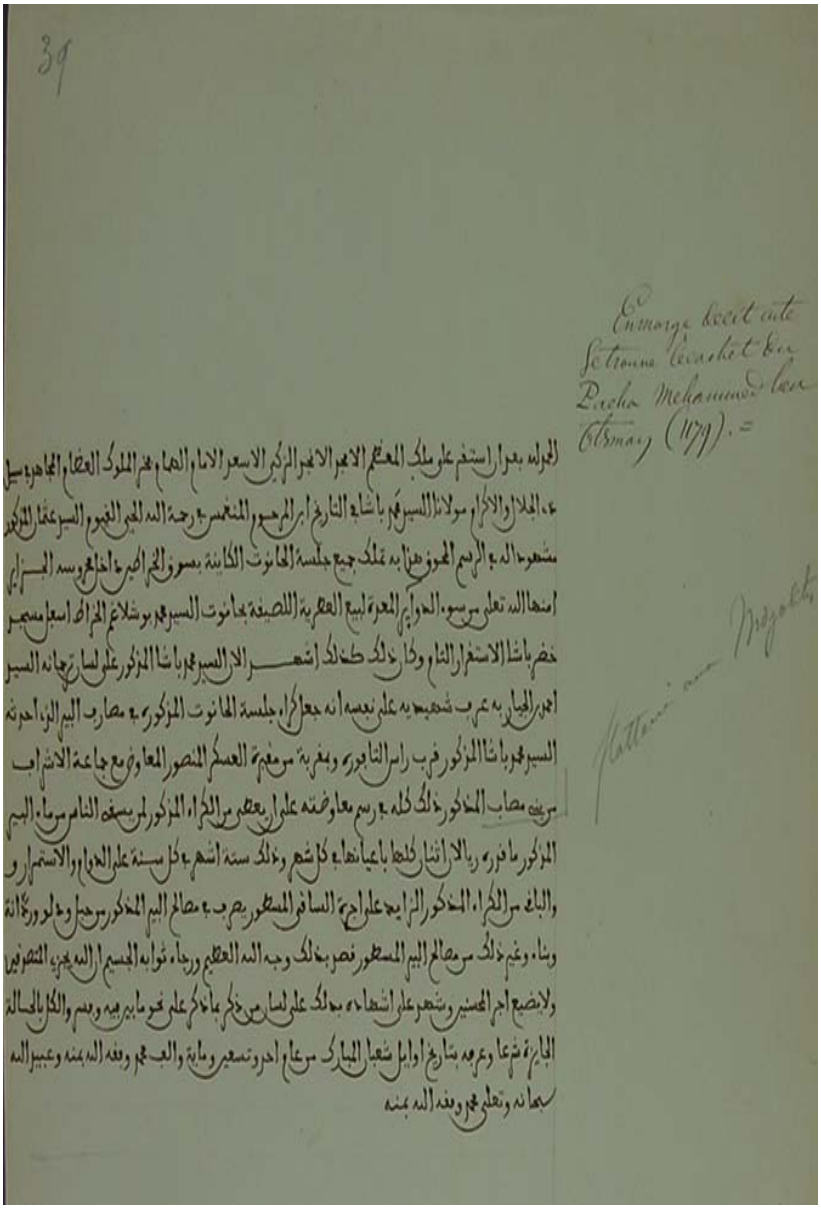

الوثيقة رقم 39 « رسم وقف وتحبيس جلسة حانوت من طرف محمد باشا لتغطية مصاريف بئر"، **من الملف الثاني للمجموعة 3205، من الرصيد العثماني، تاريخها** أوايل شعبان 1191 هـ/1776 م، **بقسم المخطوطات، في المكتبة الوطنية بالحامة – الجزائر -**

بيبليوغرافيا :

أولا- باللغة العربية :

1- حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، ط. 2، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، سبتمبر 1982.

2- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، جـ. 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 7، الجزائر، 1415هـ-1994م.

3- ناصر الدين سعيدوني، **"من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني"**، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1415هـ-1995م.

5- أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعاليته خلال العهد العثماني 1519-1830**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، إشراف : أ. د/ عمار بن خروف، نوقشت في كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006 -2007.

6- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16 م-20م)**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ-1985م.

7- الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، **مذكرات**، تحقيق ونشر أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

8- المدني أحمد توفيق، **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 -1791**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

9- رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، ط. 3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2000.

10- نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب الجزائرية، الجزائر 1385هـ- 1965م.

11- حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تحقيق محمد العربي الزبيري، ط. 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

12- وليام سبنسر، **"الجزائر في عهد رياس البحر"**، ترجمة زيادية عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

ثانيا- باللغة الفرنسية:

1- André Ravérau, La casbah d'Alger et le site créa la ville, Editions sinbad, Paris, 1989.

2- ANDRE Raymond, Grandes villes Arabes à l'époque Ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1955.
3- ARANDA (Emmanuel D.), Relation de la captivité et liberté du Sieur d'Aranda, Chez Jean Momart, imprimeur Bruxelles, 1662.
4- Avrieux (Chevalier D.), Mémoires du chevalier d'Avrieux, J-B Delespine, Paris, 1935.
5- Avity (Pierre. D.), Description Générale De L Afrique Seconde partie Du Monde Avec tous ses Empires, Royaumes, Etats, Et Républiques, Chez Claude Sonnius, Paris, 1637.
6- BREVES, «Relation des Voyages De Monsieur De Breves Tant en GRECE, Terre Sainte Et Egypte Qu'aux Royaumes de Tunis et Alger ensemble, Un Traité fait en 1604 entre le roy Henry le Grand et L'Empereur des Turcs Et Trois Discours Dudit Sieur, chez Nicolas Grasse, Paris, 1604.
7- Dan (Père François), Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, Pierre Ricolet imprimeur et libraire du Roy 2e édition, Paris, 1637.
8- Devoulx (Albert), EL Djazair, histoire d'une cité d'Icosium à Alger, Edition critique présentée par Bedredine Belkadi et Mustapha Benhamouche, ENAG Editions Alger, 2003.
9- Devoulx (Albert), Corporations Religieuses D'Alger, Typographie Adolphe Jourdan, Imprimeur Libraire –Editeur, Alger, 1912.
10-Devoulx (Albert), Tachrifate Recueil de notes Historiques sur l'administration de l'ancienne, régence d'Alger imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852.
11- Haedo (le père Diégo de), Histoire des rois d'Alger, Par H. D de Grammont, éditeur, A. Jourdan Alger, 1881.
12- HAEDO (père Diégo de), Topographie et Histoire Générale d'Alger, Traduit de l'Espagnol par MM. le Dr Monnereau et A. Berbrugger, in Revue Africaine, Alger, 1871, Tome 15.
13- HAEDO (père Diégo de), in Revue Africaine, 1870, Tome 14.
14- Jean-Léon l'Africain, Description de l'Afrique, traduit de l'Italien par A. Epulard, Adrien Maisonneuve, éditeur, Paris VI, 1956, T. 2.
15- Joao Mascarenhas,
16- Klein (H), feuillets d'el-djazair, Troisième volume, le VIEIL ALGER ET SA BANLIEUE, imprimerie orientale Fontana Frère, ALGER, 1912.
17- LAUGIER DE TASSY:HISTOIRE DES ETATS BARBARESQUES, qui Exercent la Piraterie, T. 1, Paris, 1757.
18- Mahfoud Kaddache, la casbah, mémoire, sans date.
19- MARMOL Y CARVAJAL (Luis Del), L'Afrique de Marmol, Traduction de Nicolas Sieur (5) d'Ablancourt, Paris, 1667.

20- MASCARENHAS (Joao de), Esclave à Alger Récit de captivité de 1621 à 1626, Traduit du Portugais et annoté par Paul Teyssier, Editions Chandeigne Paris 1998.
21- Moulay Belhamissi, Histoire d'Alger par ses Eaux (16e- 19e siècle), Enal Alger, 1994.
22- ROQUEVILLE (Sieur de), Relations des Mœurs et du Gouvernement des Turcs d'Alger, Editions Olivier de Varennes, Paris, 1675.
23- Sakina Missoum, Alger à L'époque Ottomane, INAS, Alger, 2003.
24- Shaw (Thomas), Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description géographique, Traduit de l'Anglais et argumenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830.
25- Sieur René du Chastelet des boys, "l'odyssée ou Diversité d'aventures rencontres et voyages en Europe Asie et Afrique", In Revue Africaine, 12 année; Janvier, 1868, T. 12.
26- Thomas SHAW, Voyage dans la Régence d'Alger, ou Description géographique, Traduit de l'Anglais et augmenté par J-Mac-Carthy, chez Marlin Editeur, Paris, 1830.